

الأعلام من الأديباء والشعراء



عبد الله بن المقفع
حياته - آثاره - أدبه

إعداد
أسون بن مهدي الدين النّسان



0015616

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

الاعلام من الالباء والشجر

عبد الله بن المقفع

حياته - آثاره - أدبه

إعداد
مأمون بن يحيى الدين المنان

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

دار الكتب العلمية بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤/١١ - تلکس: Nasher 41245 Le

هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٦٠٢١٣٣ - ٨٦٨٠٥١ - ٨١٥٥٧٣

فاکس: ٤٧٨١٣٧٣/١٢١٢ - ٠٠/٩٦١١/٦٠٢١٣٣

الإهداء

بعد طول مشقة وعناء أهدي هذا الكتاب لإخوتي محمد ،
معتصم ، ماهر ، مازن ، ومصطفى .

وما الممر إلا بإخوانه
كما تقبض الكف بالمعصم

أخوكم المحب مأمون الجنان .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

لم يكن الأدب العربي مجرد عبث بل كان تعبيراً لأمة عاشت أحداثاً وصراعات هائلة ، ناهيك عن مساهمته في تقديم أعظم دور حضاري في العلم عرفته الإنسانية عبر تاريخها الطويل . فلقد اتسع الأدب بأغراض جديدة أضاء بها مسارب المعرفة وكوّن مواد خام للباحثين ليجدوا فيه وجهاً من وجوه اهتمامهم .

فمضوا لينهضوا به إلى درجة سامية ، تبلورت في آراء الأساتذة الأفاضل التي نشروها في بحوثهم المتعددة .

يبد أنه من الواضح للعيان صعوبة إعداد بحث يدخل في نطاق الخصوصية الشاملة والمعالجة الكاملة لجوانب الحياة كافة ، ولكنهم وفروا مادة علمية تؤدي دورها في باب من أبواب المعرفة ، مما أتاح مسوغات دراسية جديرة بكل عناية ورعاية .

وفي أدبنا العربي تتسع أبعاد الصورة لتساهم في تكوين ترابط الكلمة المكتوبة والدوافع المحرّضة لكل أديب وخوضه هذه التجربة فضلاً عن غوصه في عمق الكلمات بالفهم والمعرفة . وما هذه الدراسة إلا لإضاءة جانب من جوانب أديب كان في طليعة رجال عصره أدباً وفناً وتصنيفاً .

وتجدر بي الإشارة إلى ما اقتضته مني هذه الدراسة من طريقة انتهجتها في تقسيم البحث إلى عدة فصول :

- الفصل الأول : خصصته في ألوان الحياة العامة في عصره .

- الفصل الثاني : كان رصداً لسيرته وآثاره .

- الفصل الثالث : دراسة جوانب أدبه وفنه .

- الفصل الرابع : النثر الفني في الأدب العربي .

- الفصل الخامس : كتاب كليلة ودمنة وموقفه من التراث العالمي .

الفصل السادس : خاتمة وبعض نماذج من أعماله .

ولقد وضعت ثبناً بأسماء المصادر والمراجع ومؤلفيها التي كانت لي عوناً في بحثي هذا مرتبة حسب التسلسل الأبجدي ، وقد شرحت ما احتاج إلى شرح من ألفاظ ومعاني لكيلا أدع بين القارئ والاستمتاع بفن هذا الأديب عقبة من ألفاظ قد تكون غريبة عليه .

وهناك أمور ينبغي الإشارة إليها وهي أنني قمت بترجمة كل من ورد اسمه أديباً كان أو غيره ثم عرضتها عرضاً وثائقياً خدمة للباحث وإشاعتها ، وقد أشرت إلى الأماكن التي رأيت ضرورة الإشارة إليها لاستكمال قراءتها وتتميماً لروح النص .

ولا يسعني في هذا المقام إلا الاعتذار عن كل هفوة غير مقصودة قد أوقعتني فيها النسيان أو الغفلة . وإني أتقدم بالشكر والعرفان

بالجميل لكل من أسهم في إخراج هذا البحث وأعاني على تذليل
عقباته جزاهم الله جميعهم كل خير .

هذا ما حاولت صنعه ولا أدعي أنني بلغت في هذا كمالاً
فالكمال لله وحده ولكنها محاولة أمل أن تؤدي ما هو مطلوب من
تسليط ولو بعض الضوء على هذا الأديب الذي بلغت مؤلفاته شهرة
واسعة وآفاقاً عظيمة . وإن كان ثمة شيء يذكر فهو ثنائي على
أساتذتي الذين منهم تعلمت وعلى كتبهم عوّلت ومن آثارهم
اقتبست غفر الله لهم ولي آمين . والله من وراء القصد .

مأمون بن محيي الدين الجنان

دمشق ٢ / ١٢ / ١٩٩٢

الفصل الأول

الحياة السياسية :

عرف العصر الأموي كثيراً من الثورات السياسية التي شنها الخوارج والزبيريون والطلبون ، وكانت تهدف كلها إلى انتزاع الحكم من بني أمية ، لكنّ الأمويين قد تصدّوا لهذه الثورات وخنقوها جميعها ، حتى استطاعوا أن يقضوا قضاءً نهائياً على الخوارج والزبيريين ، وأن ينكلوا بالطلبين أكثر من مرة وعلى الرغم من الازدهار السياسي والاقتصادي والعسكري الذي عرفته الدولة الأموية في بعض عهودها ، فإن الدولة بدأت تضعف منذ مطلع القرن الثاني للهجرة ، وفي أيام « مروان بن محمد »^(١) آخر الخلفاء الأمويين . بلغ هذا الضعف ذروته ، بعد أن قتل هذا الأخير « إبراهيم بن محمد ابن حفيد العباس » فنهض أبو العباس عبد الله^(٢)

-
- (١) هو مروان بن محمد (٧٢ هـ - ١٣٢ هـ) ولد في الجزيرة ببيع له بالخلافة في دمشق أوقع بالخوارج وقضى على خليفتهم الضحّاك بن قيس الشيباني ، هزّمه العباسيون في معركة الزاب وقتل بالقرب من البوصير « مصر » يعرف بمروان الحمار لجراته في الحروب - وبالجمعي نسبة إلى مؤدبه الجمعد بن درهم .
- (٢) هو عبد الله بن محمد أبو العباس السّفاح أول الخلفاء العباسيين (١٣٢ هـ - ١٣٦ هـ) ولد ونشأ بالشرأة بين الشام والمدينة (١٠٤ هـ) ببيع له بالخلافة في مسجد الكوفة ، اتخذ الأنبار عاصمة له فجدها وأقام فيها القصور فدعيت بالهاشمية نسبة إلى هاشم جد الأسرة توفي بالجلدي .

أخو إبراهيم إلى خراسان فبايعه أهلها بمرو بدل أخيه ثم سار في
مركب إلى المسجد فتلا عليهم خطبة حافلة ، وقد تيسر لحركة
« أبي العباس السفاح » النمو وذلك ببث دعائه في أنحاء البلاد ولا
سيما في العراق وفارس ليجمعوا حوله المؤيدين ويضرموا نار
الثورة .

وكان من أقوى المؤيدين له رجل فارسي يدعى « أبا مسلم
الخراساني »^(١) تزعم جماعة الفرس الناقمين على الحكم الأموي
وجند منهم خمسة عشر ألف جندي وسار بهم لمساعدة السفاح .
وكانت المدن العراقية تسقط في أيدي العباسيين واحدة تلو أخرى .
حتى التقوا بالجيش الأموي عند نهر الزاب^(٢) ونزل مروان حين
القتال ففرع الجواد وخاض وسط المقاتلين فظنوا أن مروان قتل
فاختلعت صفوف العساكر الشامية فهرب مروان واجتاز بسرعة جزيرة
النهرين وفلسطين وسار إلى الديار المصرية حتى قتلوه في كنيسة
قبطية وحملوا رأسه إلى الكوفة^(٣) .

(١) هو أبو مسلم الخراساني توفي (١٣٧) وقائد كبير كان أحد أقطاب الحركة الدينية
السياسية التي أدت إلى انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية حارب تحت
راية العباسيين فاضل مرو (١٣٠ هـ) والكوفة قتله المنصور الخليفة العباسي
الثاني .

(٢) نهر الزاب : رافد من روافد دجلة . .

(٣) انظر في هذا الصدد خلاصة تاريخ العرب لسيدو ١٠٦ دار الآثار بيروت
١٤٠٠ هـ .

وكان الفضل الأكبر في انتصار العباسيين وانهزام الأمويين عائداً إلى جند الفرس وتنظيمهم وبلاتهم الحسن في تلك المعركة . أما الأسباب التي جعلت الفرس يحاربون إلى جانب بني العباس فمتعددة أهمها :

- نقمة الفرس على بني أمية بسبب عصبيتهم واحتقارهم للموالي .

- شعور الفرس بشيء من الذل القومي تحت السيادة العربية .

- حنينهم إلى أمجادهم السالفة وإلى عهود السيطرة التي كانت لهم قبل الإسلام .

- تشييمهم لآل البيت ، واعتبار الأمويين مغتصبين للخلافة .

- سعيهم إلى المشاركة في السلطة والحكم عن طريق المشاركة

في نصرة العباسيين والقضاء على بني أمية .

- سعيهم إلى التساوي مع العرب والوقوف أمامهم وقفة الند

للد .

إن انتصار العباسيين على الأمويين في معركة الزاب بفضل المساعدة الفارسية لم يكن في الحقيقة سوى انتصار للفرس على العرب وقد ترتب على ذلك نتائج خطيرة جداً في سياسة الدولة العباسية وفي تكوينها المجتمع العباسي وفي مجرى التاريخ العربي بصورة عامة . وبعد استقلال العباسيين بالحكم مع بروز النفوذ الفارسي جاء المنصور^(١) وقام بعزل ذوي العشائر عن القيام بتدبير

(١) هو عبد الله بن محمد أبو جعفر ولد في الحريمة (٩٥ هـ) خلف أخاه السفاح =

المصالح ، غير آبه بصداقة الناس بل أطاح بكل من خشي طمعه في الخلافة ولو خدمه سابقاً كالأمير عبد الله وأبي مسلم الخراساني المدمر لبني أمية فانقاد إليه الناس واحترموه كما شاء^(١) .

لقد كان المجتمع العباسي في العصر الأول مسرحاً للصراعات العنصرية والتفاعلات الاجتماعية والحضارية والفكرية وقد قويت فيه الكثير من الحركات الفكرية التي تجلّت في صراع سياسي واجتماعي وديني وفكري بين العرب والعجم ، ولقد كان هذا العصر هو عصر الزهو والقوة ، وكانت قوة الخلفاء الحربية تناسب أهمية دولتهم .

وبعد الفتح طبقوا العرب نظام الرق والولاء ، فكانت الجوّاري توزع على الفاتحين وتباع في أسواق المغنين والنخاسين ، أو باعة الرقيق ، وتُهدى كما تهدي الطرف الثمينة والمال والمتاع ، ونشطت التجارات والصنائع وتجلّى هذا التطور في طبقات المجتمع ونتج عن ذلك توالد اخلاقي وفكري في التقاليد والأزياء والعجبران والمآكل والمشارب والملابس والأثاث والغناء واللهو والترف وكثرة الجوّاري - حتى غصت بيوت المسلمين بأولاد الجوّاري حتى أصبح

⁼ انتصر على عمه وأخضع العلويين وقضى على فتنه المقتنع في فارس بني بغداد ودعاها دار السلام نظم الشؤون الإدارية والمالية والبريد ، توفي عمراً بالحج ، لقب بالمنصور لأنه قاتل وهو شاب مع أعيان عائلته .

(١) انظر كتاب خلاصة تاريخ العرب لسيدو صفحة (١٠٨) دار الآثار بيروت ١٤٠٠ هـ .

البيت الإسلامي مجتمعاً لأشخاص يتمنون إلى أمم مختلفة
 ويستشهد عبد اللطيف حمزة بالمثال التالي في بيت المنصور :
 « . . . فقد كانت فيه « أروى » بنت منصور الجُمَيري ، وكانت
 يمنية ، كما كانت فيه أمة كردية كان المنصور قد اشتراها وتسراها ،
 وأخرى رومية وامرأة ثالثة من بني أمية قيل إنه أولدها بنتاً تسمى
 العالية^(١) - ولقد انتشرت الخلاعة والمجون والزندقة والزهد وفقدان
 التوازن الاجتماعي مما يجعل هذا العصر عصر المتناقضات .

لقد عرف ذلك العصر ولا شك تفاعلاً لغوياً وثقافياً واسع المدى
 فقد تمازجت فيه الثقافات وتطورت الحياة العلمية - وأنتج هذا
 التفاعل شعباً جديداً وعقلاً جديداً وأدباً مستحدثاً وفلسفة
 مستحدثة ، وذلك باتصاله بالفارسي والسرومي ، والشامي
 والمصري ، والعراقي ، والمغربي ، والهندي ، والسندي ، ولكل
 من هؤلاء ذوقه ونفسيته ، وخلقه وعقليته ، وخياله وعقيدته ، ودمه
 وجنسيته ونظامه وسياسته^(٢) ثم ازدهرت حركة الترجمة ، وعني
 الخلفاء والوزراء والولاة بالعلوم والآداب ونقلت إلى العربية علوم
 الفرس واليونان والهند وفلسفاتهم وثقافتهم التي كانت روافد تصب
 كلها في بحيرة بغداد .

الحياة الاجتماعية :

تميز المجتمع العباسي بالترف والغنى في البيئات الحاكمة فقد

(١) انظر كتاب ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة ٦ دار الحديث للنشر .

(٢) المرجع السابق . . . ٣ .

روى المؤرخ العربي أبو الفداء^(١) استقبال أحد الخلفاء العباسيين لسفير قيصر الروم وما فيها من ترف وعظمة ما يطول شرحه ، وحكي أن الوزير المهلي^(٢) كان يشتري وروداً بألف دينار يزين بها مجلسه ويطرحها في بركة القصر ، وقيل عن سيدة من البيت المالك أنها حشت بالدرهم شاعر مدحها فبيع حشوه بعشرين ألف دينار ، ورووا عن المقتدر أنه كان في قصره شجرة من فضة زنتها خمسمائة ألف درهم ، وأن السيدة زبيدة زوجة الرشيد كان يجمد المسك والعنبر في نعالها ، وروى عن الغلمان أنهم كانوا يلبسون الحلل الجميلة ويتزينون ويتعطرون كالنساء ، وقد تغزل بهم بعض الشعراء كأبي نواس^(٣) ، وكان أيضاً من الرقيق جوار حسان يقصصن شعورهن ويلبسن ثياب الغلمان ويسمّين الغلاميات .

أما في البيئات الشعبية فتميزت بالفقر والحرمان ، مما حدا

(١) هو إسماعيل الملك المؤيد أبو الفداء (١٠٧٣ - ١٣٣١) أمير عربي مؤرخ وجغرافي صاحب حمة له «تقويم البلدان» و«المختصر في أخبار البشر» .

(٢) هو الحسن بن محمد المهلي الوزير توفي (٣٥٢ هـ) أديب شاعر من كبار الوزراء يعود نسبه إلى المهلب بن أبي صفرة له شعر رقيق مدحه الزاهي .

(٣) هو الحسن بن هانئ أبو النواس (٧٥٧ - ٨١٤) ولد في الأهواز من كبار شعراء العصر العباسي لقب بشاعر الحمرة عاقر الحمرة وأسرف في اللهو ثم تاب في آخر أيامه له ديوان «أجود شعره في الخمريات» .

الشاعر أبا العتاهية^(١) إلى أن يخاطب هارون الرشيد بقصيدة يمثل
بها شقاء الرعية في زمانه ، ومما قاله :

من مبلغ عني الاما م نصائحاً متوالية
إنني أرى الأسعار أسعار الرعية غالية
وأرى الأرامل واليتا مى في البيوت الخالية
من للبطون الجائعا ت وللجسوم العارية . . .

ولقد أثر الفقر والحرمان في بعض الجماعات التي عضها الفقر
الشديد والبؤس القاتل تأثيراً نتج عنه نزعة ونقمة على الأوضاع مما
حمل ابن الرومي^(٢) في قصيدة له على التجار وشرطة الدولة وكتّاب
دواوينها لما يتمتع به هؤلاء من رغد العيش بينما هو وأمثاله يعانون
الحرمان والشقاء :

وتجار مثل البهائم فازوا بالمنى في النفوس ، والأحباب
أصبحوا يلعبون في ظل دهر ظاهر السخف مثلهم لُعاب

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم العنزي بالولاء أبو العتاهية (٧٤٨ - ٨٢٥)
شاعر مكثر سهل الأسلوب ولد بعين التمر بالعراق أو بالكوفة كان أبوه حجاجاً
كثيراً بالهي العتاهية ليلته إلى المجون والتعته ، أغلب شعره في الزهد والتكر للندنيا .
بلغ منزلة عالية عند الرشيد .

(٢) هو علي بن العباس ابن الرومي (٨٣٦ - ٨٩٦) شاعر بغدادى من أعظم شعراء
العباسية بل من أعظم شعراء العربية ولد في بغداد من أب رومي وأم فارسية أثر
تراثه الرومي الفارسي في عبقريته فجاء بشعر غريب الأسلوب والفن عن أهل زمانه
تغنى بجمال الطبيعة .

لهف نفسي على مناكير للنك - ر غضاب ذوي سيوف عضاب^(١)
إلى جانب هذا الاضطراب نجد العصر العباسي يمجج بفرق تتمثل
بالمسلمين المتعددي المذاهب والنصارى المختلفي النزعات
واليهود والصابئة والمانويين المتبايني الأفكار وبأجناس وقوميات
متعددة تتمثل في الفرس والهنود والسراني وغيرهم ، وينزعات
سياسية واجتماعية وعنصرية كثيرة أعنفها الشعبية .

الحياة الاقتصادية :

ازدهرت الحياة الاقتصادية بوجه عام في العهد العباسي وروى
مؤرخو العرب أن دخل الخلافة السنوي بلغ مئتي مليون فرنك^(٢)
أي مبلغاً عظيماً في ذلك الزمن . واتسع نطاق الزراعة والصناعة
والتجارة وأنشئت مصانع للنسيج الحريرية في الموصل وحلب
ودمشق . وصار العرب يستغلون الممالح ومناجم الكبريت والرخام
والحديد والرصاص بطرق فنية . وقد عني بنو العباس بإصلاح الري
لتنشيط الزراعة ، وكان ما بين النهرين ، دجلة والفرات من أخصب
بقاع المملكة بالترع والمجاري .

(١) مناكير جمع منكر ، اسم الفاعل من أنكر . والمنكر للشيء هو الذي ياباه
ويرفضه، والترك: الأمر المستقيح من ظلم ورفضة . سيوف عضاب ، سيوف
قاطعة ، يقول : ما أشد شوقي إلى قوم يرفضون هذا الظلم ويبهون غاضبين
شاهرين السيوف القاطعة .

(٢) راجع بهذا الخصوص كتاب حضارة العرب د . غوستاف لوبون ترجمة عادل
زعيتر ١٩٦٤ .

وقد ارتقت صناعة العطور والطيوب وكثر الإقبال عليها في ذلك العصر وخرجت صناعة النسيج عن بساطتها الأولى فعرف العرب أصنافاً جديدة من الأنسجة تلائم حياة الترف والرخاء ، وتفتن في الصنع والتحلية والتوشية بالذهب والفضة ، ولم تكن الشرطة في عهد الخلفاء أقل انتظاماً من البريد والمالية وكانت للتجار نقابة مسؤولة لرقابة أمور البيع والشراء ومنع الغش والتدليس وكانت إدارة الدولة موزعة بين أربعة دواوين وهو ديوان الغنائم ونفقات الجند وديوان الضرائب وديوان الجباية وديوان رقابة الدخل والخرج . وكانت جميع أوامر الخلفاء تكتب في سجل مصون ليرجع إليها في من يأتون بعدهم .

وأما التجارة فقد ساعد على ازدهارها ، انتشار الصناعة والزراعة واتساع رقعة المملكة ، حتى صارت بغداد والإسكندرية من أهم المراكز التجارية آنذاك ، وكانت قوافل التجار وسفنهم تنقل الحاصلات والبضائع إلى مختلف أجزاء المملكة الإسلامية وإلى العالم . ومن المراكز التجارية في ذلك العصر : البصرة وعدن ودمشق وعمان .

ولا ريب في أن العرب أفادوا كثيراً من النظم الاقتصادية التي كانت سائدة في البلاد المفتوحة واقتبسوها ، كأنظمة الري . والخراج وإنشاء الطرق والمواصلات . وقد أسهمت الدولة العباسية في تشييد العمران فقد بلغ الذروة من حيث جمال الهندسة والسعة فخططت المدن الفسيحة وشيدت فيها القصور والبيادر والمساجد

والحمامات . وأبدوا من الزينة والزخرفة أعجب المناظر وعملوا
أعمالاً فاخرة ونثروا الذهب في قصورهم ويساتينهم ومساجدهم .

ومن الطبيعي أن ينعكس هذا الازدهار على صورة الحياة العامة
فنرى فيه نماذج الشعوب وتفاعل الحضارات والثقافات وصراع
الأجناس وحركة الشعوبية وطبقات المجتمع من حكام ومحكومين
وعبيد وقيان ، وأريستوقراطية وأقطاعية وتجار وموظفين وعامة
الشعب ، كما نرى صورة للثقافة والعلم والمؤسسات والمفكرين ،
وللعمران والأثاث والعادات والأزياء والتقاليد ، والبيئات الطبيعية
والاجتماعية ما تشتمل عليه وتمتاز به ، وما من ظاهرة في الحياة
العباسية إلا نجد لها منعكساً في أدب العصر شعره ونثره .

الحياة الأدبية :

كان العصر الأموي عصر نهضة أدبية كبرى تجلّت في كل من
الشعر والنثر والخطابة ، وكانت الخطوات التي خطتها الأعمال
الأدبية واسعة النطاق وقد زاد في اتساعها عوامل كثيرة أهمها :

- سياسة الدولة الأموية فقد كان لهذه السياسة أثر مباشر في
الشعر والخطابة والتدوين ، والنثر والمديح ، والرائع والغزل .

- صراع الأحزاب الذي أثنى إلى حرب كلامية شعراً وخطابة
وتحريضاً ودفاعاً ومجادلة .

- امتداد رقعة الامبراطورية فقد أدّى هذا الامتداد إلى تمازج في

الشعوب واختلاط الأجناس والعادات والتقاليد والأزياء واللغات ، فكان لذلك أثره في الحياة الاجتماعية التي انعكست في الأدب . وأثره في الحياة الفكرية ، وفي اللغة التي فُرض على جميع الشعوب التي فتحها العرب أن تتكلم بها ، وأن تجعلها لغة العلم والأدب والدين والكتابة .

وغير ما خفي ما لذلك من انعكاس على الأدب .

- تطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية مما أسهم في تطوير الشعر الغزلي والوصفي والوجداني والخمري والمجون .

- الحياة الدينية التي أثرت على وجهين : وجه الاهتمام ووجه الاستخفاف . فالاهتمام الجدي بالدين ساعد على اتساع الدراسات الدينية وتعميقها من تفسير القرآن إلى علم القراءات ، إلى الفقه ، إلى الجدل وعلم الكلام إلى رواية الحديث وتفسيره ونقله ، إلى القصص الديني والوعظ والإرشاد والخطابة الدينية والمناظرات .

والاستخفاف بالدين أدّى إلى انتشار اللهو والمجون والعبث وشرب الخمر وارتكاب الموبقات وطلب اللذائذ المحرّمة ، والتغني بها على نحو ما نجد في شعر الوليد بن يزيد^(١) والفرزدق^(٢)

(١) هو الوليد بن يزيد : (٨٨ - ١٢٦ هـ) الخليفة الأموي الحادي عشر كان ذا مواهب فنية بالشعر والموسيقى ميالاً إلى اللهو والمرح عاش في قصره بالبادية منصرفاً إلى الشعر والخمر . خلع وقتل .

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمي التميمي الفرزدق نحو =

وابن الرقيات^(١) والغزل الحضري إجمالاً .

- تطور الدولة وتنظيمها اللذان أدّيا إلى إنشاء الدواوين وتعميرها وتطور فن الرسائل والكتابة الفنية إجمالاً ، وضبط سجلات الدولة ، وما إلى ذلك .

- يقظة المعصيات التي أذكت شعر السياسة القبلية وشعر الهجاء والنقائض .

- عناية الخلفاء بالأدب واللغة وعقدهم المجالس للسمر والتندر والشعر والتسلية ، وكانت مجالسهم تعج بالشعراء والمحدثين والنسّابين واللغويين والخطباء ، وزاد في ذلك أهمية كون الخلفاء أنفسهم من كبار الملمّين بالأدب واللغة ومحاسن الكلام يحرصون كل الحرص على ألا تخلو مجالسهم من حوار ونقاش وتنافس ، مما دفع بأصحاب الكلام إلى تجديده والعناية به ، وبالرواة إلى التنافس في كثرة المحفوظ وجودته وحسن عرضه .

وليس هناك مجالاً للمقارنة بين خصائص أدب هذا العصر أو ذاك إذ يُعد العصر العباسي عصر التطور والرقى والإزدهار في

= (٦٤١-٧٣٢) ولد في البصرة من شعراء العهد الأموي قضى حياته في مدح الناس ومجوعهم له نفس شعري قوي ولغة وافرة الألفاظ والتعابير اشتهر بالهجاء الذي دار بينه وبين جرير حتى آخر حياتها ٢٧ «ديوان» - دونه محمد بن حبيب النحوي البصري ، «نقائض جرير والفرزدق» .

(١) هو عبيد الله بن قيس الرقيات توفي نحو (٧٠٥) شاعر قرشي ناصر الزبيرين ثم وإلى الأمويين ديوانه يحوي أشعاراً سياسية تاريخية .

مختلف نواحي الحياة العربية ولا سيما في الآداب والعلوم . فلقد حفل بحركات ثقافية كبرى ، وتيارات فكرية ، نتجت عن التداخل الذي تم بين الأمم ، وعن تفاعل الحضارات والثقافات والأنظمة الاجتماعية .

وكان لنقل العلوم والمعارف اليونانية والفارسية والهندية إلى العربية ، ولتشجيع الخلفاء والأمراء والولاة للعلوم والآداب وبذلهم بسخاء في هذا السبيل ولإقبال العرب على هذه الثقافات والمعارف ينهلون منها ، ويتفاعلون معها ، ويؤلفون فيها ويضيفون ما يبتدئون إليه من المكتشفات والحقائق . كان لكل ذلك أبعد الأثر في جعل العصر العباسي ، عصراً ذهبياً بالنسبة إلى الحياة الفكرية .

ويقول الدكتور مصطفى الشكعة : « . . . إن الشرقد وثب في ذلك القرن وثبات واسعة وقفزات موفقة لأن الشر في الأصل لغة العقل والشعر لغة العاطفة » .

وقد ساعد طول الفترة التي حكم بنو العباس خلالها على اتساع النهضة العلمية والأدبية وتثقيفها وتعميقها ، إذ امتد عصرهم نيفاً وخمسمائة سنة ، إلا أن الحركة الفكرية لم تكن مسيطرة لأحوال السياسة . فقد تعرض المجتمع العباسي للكثير من الهزات والأزمات السياسية . ولمظاهر الضعف والانحلال والتقهقر ، في حين أن الآداب والعلوم وسائر معطيات الفكر ، استمرت في ازدهارها المظرد الذي بدأت تبشيره في عهد بني أمية وبلغ أوجه في العصر العباسي .

والذي يعني في هذا المقام من هذه الحركات الفكرية كلها ،
نتاج الأدب شعراً ونثراً على اختلاف فنونه وأغراضه ، وما لحقه من
مميزات وخصائص كانت وليدة ظروف العصر ، والتطورات التي
نشأت عنها أو تأثرت بها .

اللغة العربية :

بلغت اللغة العربية ذروة الرخاء في العصر العباسي فلقد كانت
العربية لغة رسمية في المجتمع العباسي - لا في المناطق العربية
وحسب - بل في بلاد فارس والهند والترك وسائر الأقاليم الأعجمية
أيضاً ، كما أصبحت لغة العلم والأدب والفلسفة والدين لدى جميع
الشعوب ، فإذاً ، التناجس الفكري بمجمله يكتب بالعربية مع أن
معظم أصحابه ليسوا من العرب أمثال : الفارابي^(١) ابن سينا^(٢) ،

(١) هو = أبو نصر محمد الفارابي ولد في فاراب تركستان وتوفي في دمشق (٩٥٠)
من أعظم فلاسفة العرب درس في بغداد وحران وأقام في حلب في بلاط سيف
الدولة الحمداني لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو وكان متضلماً في الرياضيات
والموسيقى من مؤلفاته العديدة « الجمع بين رأي الحكيمين » وقد حاول فيه
التوفيق بين أفلاطون وأرسطو و« التوطئة في المنطق » و« السياسة المدنية »
و« آراء أهل المدينة الفاضلة » و« كتاب الموسيقى الكبير » وإحصاء العلوم
والتعريف بأغراضها وجوامع السياسة و« رسالة النصوص » .

(٢) هو أبو علي بن سينا عرف بالشيخ الرئيس ابن سينا ولد في « أفشنه » قرب بخارى
(٩٨٠) وتوفي في همدان (١٠٣٧) فيلسوف من كبار فلاسفة العرب
وأطبائهم تعمق في درس فلسفة أرسطو وتأثر أيضاً بالأفلاطونية المستحدثة له =

الغزالي^(١)، ولقد استطاعت هذه اللغة أن تقوم بأعباء الحركات الفكرية كلها. وهنا يقول الدكتور غوستاف لويون: «... ولكن ما انتهى إلينا من آثار العرب في العلم والأدب... وما ورد في كتب مؤرخيهم يكفي لتمثل حضارتهم»^(٢).

- وبالجملّة قد استعمل الخلفاء العبّاسيّين شوكتهم في تذكّية عقول العرب وتنمية معيشتهم فقد أحدثوا كثيراً من المكاتب والمدارس التعليمية والمحالّ الإحسانية وأنشأوا مدائن بجوار بغداد وطرقاً وخانات وأسواق وخلجاناً ومساقى مياه وحضوا على اكتساب

ميول صوفية عميقة برزت في الحكمة الشريفة وهي عبارة عن فلسفته الشخصية من مؤلفاته المطبوعة: «القانون في الطب» و«الشفاء» في الفلسفة «والإشارات والتنبيهات» في المنطق ولا يزال قسم من تآليفه مخطوطاً في خزائن الكتب له في النفس القصيدة المشهورة ومطلعها.

هبطت إليك من المحلّ الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
(١) هو أبو حامد محمد الغزالي توفى في طوس (٥٠٥ هـ) متكلم لقب بحجة الإسلام ولد بالقرب من طوس «خراسان» نشأ أولاً نشأة صوفية ثم انصرف إلى دراسة الفقه والكلام والفلسفة علم في المدرسة النظامية ببغداد وكتب «تهافت الفلاسفة» وفيه كفر الفلاسفة ويدعهم له: إحياء علوم الدين «المنقذ من الضلال».

(٢) راجع حضارة العرب ترجمة عادل زعير للدكتور غوستاف لويون صفحة ١٧١ طبعة عيسى البابي الحلبي ١٩٦٤ - غوستاف لويون «(١٨٤١ - ١٩٣١) من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين».

التجارة وسائر الفنون حافظين الأمم المجاورة لممالكهم من الاضطرابات التي كانت زمن التمسب الإسلامي . (١) .

وبالجملة فقد استمرت الأصالة العربية بفعل تلك الظروف ، وقد تركت الثقافات الأعجمية عميق الأثر في علوم العرب وفلسفتهم ، ولكن آداب الأعاجم لم يكن لها مثل ذلك التأثير ، والسبب يعود إلى أن العرب لم ينقلوا أثراً أدبية إلا ما ندر ، لأنهم لم يشعروا بحاجتهم إليها ، - فبقي معظم الآداب الأعجمية مجهولاً عندهم . - ولم يكن أدباء العرب وشعراؤهم يتقنون لغات أعجمية ، حتى يتيسر لهم الإطلاع على هذه الآداب وتأثروا بها ، لذلك ظل أدبهم في مجمله أصيلاً - بعيداً عن التيارات الأجنبية - أما الأعاجم الذين نظموا شعرهم وكتبوا أدبهم بلغة الضاد ، فقد غلب عليهم الطابع العربي أيضاً وتأثروا بالاتجاهات العربية في هذا المجال ، فما أحدثوا فنوناً جديدة تذكر ، وإنما انحصر في تجديدهم ضمن القوالب التقليدية في المديح والهجاء والغزل والوصف والخمرة والمثل والحكايات وما إليها . وهكذا فإن العصر العباسي حمل إلى الأدب كثيراً من التجديد لكن ضمن الأطر القديمة ، ومن داخل الأصالة العربية .

التجديد في الأدب العربي :

هذه الظاهرة هي وليدة انتشار المعارف والعلوم واتساع أفق

(١) راجع بهذا الصدد خلاصة تاريخ العرب لسيديو ١٠٩ طبعة دار الآثار بيروت .

التعليم وكثرة الإقبال على التدوين والدراسة والبحث والتأليف ،
وعناية الناس بالحركات العلمية والأدبية وتشجيعها ، وتقدير العلم
والعلماء . وتأسيس المكتبات ورواج أسواق الكتب مما حمل
المؤلفين على الإكثار من وضع الكتب . فقد وضعوا التأليف في
مختلف فروع المعرفة في التاريخ والجغرافية ، والفلك
والرياضيات ، والطب والكيمياء والصيدلة ، والشعر والبلاغة ،
والنحو والصرف ، واللغة والنقد الأدبي ، والقصص والدين ،
والفلسفة والسياسة ، والأخلاق والاجتماع ، والزراعة ، والمعادن
وما إلى ذلك ، واتسع نطاق الزراعة والصناعة . . .
وروسعت دائرة التعليم العام واستدعي الأساتذة من مختلف أقطار
العالم . وبلغ علم الفلك درجة رفيعة من التقدم وانتهى إلى نتائج
لم يتبته إليها الأوروبيون إلا في العصر الحاضر^(١) . ونقلت إلى
اللغة العربية كتب علماء اليونان واللاتين ولا سيما كتب الفلسفة
والرياضيات وصارت تدرس في جميع المدارس ، وبحث العرب
في آثار القدماء وأقدم العرب على تلك المباحث ، التي لم
يكن لهم عهد بها ، بشوق ونشاط وأكثروا من إنشاء المدارس
والمكتبات العامة والمختبرات في كل مكان وكانت لهم اكتشافات
مهمة في أكثر العلوم .^(٢) ويكفي أن يقرأ المرء كتاب الفهرست

(١) كتيّس دائرة نصف النهار .

(٢) راجع كتاب حضارة العرب للدكتور غوستاف لوبون صفحة ١٧٣ ترجمة عادل
زعتر طبعة (الباني الحلي ١٩٦٤) .

لابن النديم^(١) ليعرف إلى أي مدى كانت حركة التأليف مزدهرة وإلى أي مدى بلغ التنوع في المصنّفات وضروب الثقافات . ويقول سيديو « . . . وشغفوا مع ذلك بالعلوم الأدبية فأحضروا من القسطنطينية أحسن الكتب اليونانية وترجموها إلى العربية وفتحوا ببغداد مدرسة « السن » لترجمة المترجمين . . . وربّوا خمسة عشر ألف دينار لمدرسة يتعلم بها مجاناً ستة آلاف تلميذ من الفقراء والأغنياء وأنشأوا كتيّخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية في سائر جهات آسيا ، وبنوا أرصاداً بها آلات عجيبة لاستكشاف الفلكي ومستشفيات يمتحن فيها من أراد أن يوظف عدة امتحانات . . ومعامل كيميائية لاستكشاف النباتات . . . ومكثت المدرسة البغدادية على رونقها الباهر نحو مائتي سنة تقريباً »^(٢) .

إزاء هذه الغزارة في الإنتاج والمعارف والتأليف ، لم يكن بد من تنوع الأغراض الأدبية والمقاصد حتى تشمل جميع وجوه العيش فتتناول السياسة والاجتماع والاقتصاد والدين والفلسفة والشريعة والعلوم اللسانية والترجمات وضبط أمور الدولة في المراسلات والأنظمة والدواوين والعند . فَوُصِّلَت ولايات الدولة بوسائل نقل

(١) هو محمد بن إسحاق أبو الفرج بن النديم توفي بعد (٣٩٠ هـ) أديب من أهل بغداد ولد وعاش فيها وكان كاتباً كأيّاه فعرف بالوراق اشتهر بكتابه «الفهرست» .

(٢) راجع كتاب خلاصة تاريخ العرب لسيدينو صفحة ١١٣ - وما بعدها طبعة دار الآثار بيروت ١٤٠٠ هـ .

منتظمة وأنشئت مرابط لتتمكن البرد بها من قطع المساوف الكبيرة على عجل وغني بحمام الزاجل لربط ما بين المدن بالرسائل . . . وكانت إدارة البريد في بغداد من أهم وظائف الدولة (١) .

ولم يتسع معنى الأدب في عصر من العصور اتساعه في عصر بني العباس حتى ضم مختلف الشؤون وأصبح أخذاً من كل شيء بطرف ، وقد أقبل الأدباء على الثقافات الجديدة يتهلون منها ما وسعهم ، ويكتسبون معطيات عقلية وحكماً وبعداً في النظر وقدرة على التعليل والاستنباط ، وعمق التفكير ، وتوليد المعاني الجديدة ، فإذا الأدب العباسي أغنى مما سبقه من حيث المعاني والمضامين الفكرية ، يدل ذلك على ذلك ما تراه في ثراين المقفع . ومن حيث التفنن البياني فقد حفل الأدب العباسي بضروب من الزخرفة والعمل على إخراج الكلام إخراجاً فنياً مقصوداً - فتوفر أصحابه على صور البيان والبديع - وراحوا يعتون بالاستعارات والكنائيات وضروب المجاز ، يكثرون منها ومن السجع والجناس والتورية والطباق وسواها من المحسنات اللفظية والمعنوية . أما أسباب ذلك فتعود إلى أن الأدباء أرادوا ابتكارات جديدة في النواحي الأسلوبية توافق روح العصر في العمران والرخاء وتطور أسباب العيش ، وأهم من فتح هذا الباب في الشعر مسلم بن الوليد (٢) .

(١) راجع كتاب حضارة العرب لغوستاف لويون صفحة ١٧٢ ترجمة عادل زعير .
(٢) هو أبو الوليد الأنصاري مسلم بن الوليد توفي (٢٠٨ هـ) شاعر من العصر العباسي الأول ولد ونشأ بالكوفة وتوفي بخرجان لقب صريح الغواني جدد شعره بتعمد البديع مع المحافظة على نسق الشعر القديم بالمعنى والصيغة .

الفصل الثاني

نسيبه :

هو محمد عبد الله بن المقفّع^(١) الكاتب المشهور واسمه رَوَزه بن دازويه فارسي الأصل عرف باسم عبد الله بن المقفّع لأن والده كان يعمل والياً على خراج فارس من قبل الحجاج^(٢) ، فزيت له نفسه أن يضم إلى ماله شيئاً من مال السلطان فضربه الحجاج على يده حتى تقفّعت - أي تشنّجت - فعرف منذ ذلك بالمقفّع وكان والده مجوسياً ، وكان على المجوسية أكثر عمره كأيّيه وكان يكنى أبا عمرو ، ثم انتسب للملة الإسلامية في كهولته على يد عيسى بن عبد الله بن العباس وسمي عبد الله وكني أبا محمد . ولم يكن مسلماً صادقاً بل كان يطن المجوسية .

مولده ونشأته :

ولد بفارس (٧٣٤ - ١٠٦ هـ) ونشأ فيها وتثقف بثقافة أهلها ثم

(١) انظر ترجمته : في الفهرست ١١٨ أخبار الحكماء ١٤٨ ابن خلكان ١ / ١٨٣ في ترجمة الحلاج ، خزنة الأدب ٣ / ٤٥٩ ويعرف عند الفرنج بلقب « Bidpai » معجم المطبوعات العربية والمعربة - ٢٤٩ - مفتاح السعادة ١ / ٢٧٣ البداية والنهاية ٩٨ / ١٠ وذكره فيمن توفي سنة ١٤٥ .

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي توفي (٩٥ هـ) .

انتقل به والده إلى البصرة وأصل أبيه من خوز^(١) ببلاد فارس ، ولقد عمل والده على تنشئته على ما نشأ هو عليه من خدمة الدولة فدفعه إلى تعلم العربية وإتقانها عن طريق الإتصال بالأعراب ومخالطة بني الأهم^(٢) المشهورين بالفصاحة ، وشهود المرید^(٣) .

وفي أخبار الحكماء : « عبد الله بن المقفع كان فاضلاً كاملاً وهو أول من اعتنى ممن نسبوا إلى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية لأبي جعفر المنصور وهو فارسي النسب ، ألفاظه حكيمة ومقاصده من الخلل سليمة ، ترجم كتب أرسطاطاليس المنطقية الثلاثة . وترجم كتاب الهندي المعروف بكتاب كيلة ودمنة . وله تأليف حسنة ومنها رسالة في الأدب والسياسة ورسائله المعروفة بالتيمة في طاعة السلطان » .^(٤)

ولم تفض سنوات حتى علا شأنه ، فاستخدمه الولاة عندهم كما استخدموا غيره من الموالي الذين يتقنون لغتين . فكتب لآل

(١) في الفهرست لابن النديم : خوز مدينة من كور فارس .

(٢) هو خالد بن صفوان بن الأهم توفّي (بعد ١٣٣ هـ) من حصحاء العرب وخطبائهم المشهورين ولد في البصرة ونشأ في أهلها ، كان يجالس الخلفاء فيعجبون بكلماته السائرة وأجوبته المسكتة له أخبار كثيرة ذكرها الجاحظ .

(٣) المرید : من أشهر أحياء البصرة « المراق » كان قديماً سوقاً للإبل ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس وبها كانت مفاخرة الشعراء ومجالس الخطباء .

هيرة^(١) ولما سقطت الدولة الأموية حاول الاستمرار في الكتابة لبني العباس - فاتصل بأعمام المنصور وكتب لهم - وكان ابن المقفع تمت ثقافته في صناعة الكتابة على يد عبد الحميد الكاتب^(٢) متأثراً بطريقته ، ذات الديباجة العربية والتفكير اليوناني ، وبذلك جمع بلاغة العرب ، وصنعة فارس ، وحكمة اليونان^(٣) .

لقد شهد ابن المقفع الكثير من ظلم الحكم الجديد وأخذ الناس بالشدة وقتلهم بالظنة . فكان هذا حافزاً حوله إلى كاتب نائر ألف عدة كتب نقل بعضها عن الفارسية والهندية وابتكر الباقي من

(١) يزيد بن عمر بن هيرة توفي (١٣٢) ابن السابق أمير العراق على عهد مروان الثاني حارب الخوارج قاوم الدعوة العباسية مدحه بشار بن برد قتله السفاح بواسط .

(٢) هو عبد الحميد توفي (٧٥٠) أول من أنشأ أسلوب الرسائل في الأدب العربي قيل إنه كان معلماً للصبي قبل أن يشتغل بالكتابة في بلاط هشام بن عبد الملك واصل عمله في عهد مروان الثاني الملقب بالحمار آخر الخلفاء الأمويين في الشام . يزعم أنه توفي معه في «بوصير» له «ست رسائل» أشهرها الرسالة إلى الكتاب امتاز بلغته المتينة وأسلوبه الكتابية الرائع ضرب به المثل «بدأت الكتابة بعبد الحميد وانتهت بابن العمير» .

(٣) قال الأصمعي : قيل لابن المقفع من أدبك قال : نفسي ، إذا رأيت من غيري قبيحاً أبيته وإذا رأيت حسناً أتيت . ومن كلامه : شربت من الخطب ريباً ولم أضبط لها روياء ففاضت ثم فاضت ، فلا هي نظاماً ، ولا نسيت غيرها كلاماً . البداية والنهاية لابن كثير ١٠ / ٩٩ طبعة دار الكتب العلمية ١٩٨٧ .

كتبه وآثاره^(١) : الأدب الكبير ، والأدب الصغير ، الدرة التيمية في طاعة الملوك ، ورسالة الصحابة ، ولكن أشهرها كتاب كلیلة ودمنة فهو كتاب وضعه الفيلسوف بيدبا^(٢) الهندي - لدبشليم ملك الهند - وجعله باللغة الفهلوية على ألسنة البهائم وهو يشتمل على الأخلاق وتهذيب النفوس ، ترجمه ابن المقفع^(٣) وقد طبع كتاب كلیلة ودمنة مراراً في بلاد مختلفة^(٤) وترجم هذا الكتاب إلى ٢٩ لغة ونظم شعراً أيضاً^(٥) وكان أكثر هذه الكتب التي وضعها ابن المقفع دائراً حول ما ينبغي أن يسير عليه الملك إزاء الرعية وما ينبغي للرعية أن تكون عليه إزاء الملك ، وهذا مما جعل له حساد كثيرون وأغضب عليه الخليفة المنصور . فقتله بصورة بشعة .

-
- (١) راجع : الفهرست لابن النديم (١١٨) مروج الذهب (٤٤) كشف الظنون لحاجي خليفة ٣ / ٢١٢ رسائل البلقاء (١١٨) ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة (٢٠٢) . تاريخ طبرستان .
 (٢) معناه بالسانسكريتة « صاحب العلم » إليه تنسب مقدمة كتاب كلیلة ودمنة الذي قلمه لدبشليم ملك الهند .
 (٣) طبع قسم منه باعتناء هنري شولتنس في ليدن (١٧٨٦) .
 — Pars Versionis Arabica libri Calsila Wa Dimna odita a b H.A.S chultens:

- (٤) انظر كتاب مفتاح السعادة لطاش كيرزاده ١ / ٢٣٧ = في شأن كتاب كلیلة ودمنة ،
 (٥) انظر معجم المطبوعات العربية - سركيس - (٢٧١) ابن الهبارية كتاب نتائج الفطنة في نظم كلیلة ودمنة طبع مع شرح الألفاظ الغريبة على الهامش .

موطنه :

ولد بقرية من قرى فارس اسمها (جور)^(١) وموضعها فيروزآباد الحالية ، والعجم تسميها كور وكان عضد الدولة سماها فيروزآباد ومعناه أتم دولته ، وجور مدينة نزهة جداً بينها وبين شيراز عشرون فرسخاً ، وإليها ينسب الورد الجوري ، وهو أجود أصناف الورد وهو الأحمر الصافي ، قال السري الرفاء يهجو الخالدي ويدّعي عليه أنه سرق شعره :

قد أنست العالم غاراته	في الشعر غارات المغاوير
أنكلني غيد قواف غدت	أبهى من الغيد المعاطير
أطيب ريحاً من نسيم الصبا	جاءت برياً الورد من جور

وقيل إن جور غزيت عدة سنين فلم يقدر على فتحها أحد حتى فتحها عبد الله بن عامر . وكان سبب فتحها أن بعض المسلمين قام ليلة يصلي وإلى جانبه جراب فيه خبز ولحم ، فجاء كلب وجره وعدا به حتى دخل المدينة من مدخل لها خفي فألفظ المسلمون بذلك المدخل حتى دخلوها منه وفتحوها عنوة .

وينسب إليها جماعة منهم : أبو بكر محمد بن إبراهيم بن عمران بن موسى الجوري الأديب ، كان من الأدباء المتقين علامة في معرفة الأنساب وعلوم القرآن مات (٣٥٩) وأحمد بن الفرج

(١) في الفهرست لابن النديم : خوزا مدينة من كور فارس والأصح أنها جور مدينة فيروز آباد ، كما ذكرها صاحب القاموس المحيط .

الجُشَمي الجوري المقرئ ، ومحمد بن الخطّاب الجوري ،
ومحمد بن الحسن بن أحمد الجوري سمع فهد بن عبد الله
التستري قراءة ، روى عنه طاهر بن عبد الله الهمداني (١) .

وفاته وآثاره :

كان عبد الله بن علي عم المنصور والياً على الشام فخرج على
ابن أخيه سنة ١٣٧ هـ وطلب الخلافة لنفسه ، فأرسل إليه المنصور
جيشاً مقدّمه أبو مسلم الخراساني ، فانتصر أبو مسلم ، وهرب
عبد الله إلى البصرة ونزل على أخيه سليمان واستتر عنده ، ثم أن
المنصور عزل سليمان عن البصرة سنة ١٣٩ هـ وولى مكانه
سفيان بن معاوية من آل المهلب ، ولبت عبد الله مستخفياً عند
أخويه سليمان وعيسى فطلبه منهما فأبيا تسليمه إلا بأمان يمليان
شروطه ، فرضي المنصور بذلك ، فتقدما إلى كاتبهما ابن المقفع
بأن يكتب الأمان ويبلغ فيه كي لا يغدر المنصور بعمه . فكتب ابن
المقفع وشدد فيه حتى قال في جملة فصوله : « وحتى غدر أمير
المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق ، ودوابه حُبس (٢)
وعبيده أحرار ، والمسلمون في حل من بيعته » (٣) .

(١) راجع معجم البلدان لياقوت الحموي ٢ / ١٨١ دار صادر بيروت د . ت .

(٢) حبس : موقوفة في سبيل الله لا يحق له استعمالها لمنفعت .

(٣) لم يحمل الأمان دون غدر المنصور بعمه ، فقد قتله شر قتلة ، قيل جعله في بيت
أساسه ملع وأجرى عليه الماء فسقط عليه ومات .

فعظم ذلك على المنصور ولا سيما أمر البيعة ، وغضب على ابن المقفع فأوعز بقتله إلى سفيان بن معاوية والي البصرة ، وكان الأخير شديد الحق على ابن المقفع لأنه اغتاز من توليه البصرة مكان سليمان بن علي ، فراح يستخف به ويتنادر عليه وينال من أمه ، فقد سمعه مرة يقول : « ما ندمت على سكوتي قط » . فقال له : « الخرس زين لك ، فكيف تندم عليه ! » . وكان أنف سفيان كبيراً فكان ابن المقفع إذا دخل عليه قال : « السلام عليكما يعني سفيان وأنفه » .

فلما جاءه كتاب المنصور يأمر بقتله تربص به حتى دخل عليه يوماً فأمسكه وأمر به فقتل . واختلف في طريقة قتله فقيل : إنه ألقي في بئر وردم عليه وقيل : ادخل حماماً وأغلق عليه بابه فاختنق ، وقيل : بل قطعت أطرافه عضواً عضواً ثم ألقي في تنور وأطبق عليه ، ومجمل القول أنه دخل ابن المقفع على دار سفيان ولم يخرج منها أبداً .

وذكروا أن من أسباب قتله أيضاً اتهامه بالزندقة ، ومعارضة القرآن وترجمة كتب الزنادقة ، ومات وله من العمر ست وثلاثون سنة ، وخلف ولداً اسمه محمد ، ولم يطالب أحد بدمه بسبب ما قيل عن زندقته وتعصبه لقومه^(١) .

(١) يقول محمد كرد علي عن سبب قتل ابن المقفع : « يجوز المنصور قتل بريء كتب ما كتب حرصاً على مصلحة من يكتب والله يقول في محكم كتابه : « لا يضار كاتب ولا شهيد » وما عدم الساسة حجة يتوكلون عليها أو تاوريلاً يأتيهم به المنافقون =

لقد ترك عبد الله بن المقفع في خزانة الأدب الكثير من المؤلفات منها : رسالة الصحابة كليله ودمنه ، مزدك ، التاج في سيرة أنو شروان ، الأدب الكبير ، الأدب الصغير ، التيمية في الرسائل ، ومن الكتب التي نسبت إلى ابن المقفع هي : قال المسعودي عند ذكره لفراسياب وكيفية قتله وحروبه وما كان بين الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل (سياوخس) (ورستم بن دستان) : فهذا كله موجود ومشروح بكتاب « السكيسران » ترجمه ابن المقفع من الفارسية الأولى إلى العربية ^(١) .

لقتل من استهدفوا لغضبهم والمنصور على ما فيه من عقل ودهاء عجز عن إقناع أهله بأن يكتبوا إلا ما أرادوا في أمان أحدهم فانتقم من رجل لا قوة له غير قلمه ومن رجل شريف ما تجوز في خيانة من يتولى الكتابة عنه ، وأبت ذمته أن يكتب لهم عهد الأمان ضعيف القيود يدخل المنصور متى أراد من أحد شقوقه فينقضه ويهلك من يحاول إهلاكه » . أمراء البيان ١ / ١٢٨ وما بعدها .

(١) مروج الذهب للمسعودي (١١٨) .

الفصل الثالث

مثل القبرة^(١) والفيل

كليلة ودمنة

حُكِيَ أَنَّ قُبْرَةً اتَّخَذَتْ أُذْجِيَّةً^(٢) وَبَاضَتْ فِيهَا عَلَى طَرِيقِ الْفِيلِ .
وَكَانَ لِلْفِيلِ مَشْرَبٌ يَتَرَدَّدُ إِلَيْهِ . فَمَرَّ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى عَادَتِهِ لِمِرْدٍ
مُورِدِهِ ، فَوَطِئَ عُشَّ الْقُبْرَةِ ، وَهَشَّمَ بَيْضَهَا ، وَقَتَلَ فِرَاحَهَا .

فَلَمَّا نَظَرَتْ مَا سَاءَ مَا ، عَلِمَتْ أَنَّ الَّذِي نَالَهَا ، مِنْ الْفِيلِ لَا مِنْ
غَيْرِهِ ، فَطَارَتْ فَوَقَعَتْ عَلَى رَأْسِهِ بِأَكِيَّةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ : « أَيُّهَا الْمَلِكُ !
لِمَ هَشَّمْتَ بَيْضِي وَقَتَلْتَ فِرَاحِي ، وَأَنَا فِي جِوَارِكَ ؟ » . أَفَعَلْتَ هَذَا
اسْتِصْغَاراً لِأَمْرِي ، وَاحْتِقَاراً لِشَأْنِي ؟ » قَالَ : « هُوَ الَّذِي حَمَلَنِي
عَلَى ذَلِكَ » .

فَتَرَكْتَهُ وَانصَرَفَتْ إِلَى جَمَاعَةِ الطَّيْرِ ، فَشَكَتْ إِلَيْهِنَّ مَا نَالَهَا مِنْ

(١) هي عصفورة من فصيلة القريبات دائمة التغريد تفتش عن غذائها في الحقول
وعلى الطرق جمع قُبر وقبر وقناير .

(٢) مكان في الأرض تضع فيه القبرة والنعام يبضها بيض النعام في الرمل .

(*) هذه الحكاية لا توجد في أبواب كليلة ودمنة المختلفة التي بين أيدينا ولكنها
وردت في مقدمة « بهنود بن سحوان » التي أضيفت إلى كتاب كليلة ودمنة بعد
ابن المقفع بقرون متأخرة .

الفيل ، فَقُلْنَ لَهَا : « وَمَا عَسَى أَنْ تَبْلُغَ مِنْهُ وَنَحْنُ طُيُورٌ ! » فَقَالَتِ
الْعَقَاتِيقُ (١) وَالْغُرَبَانُ : « أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ مَعِيَ إِلَيْهِ فَتَقْفَأَنَّ
عَيْنَيْهِ ، فَإِنِّي أَحْتَالُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيلَةٍ أُخْرَى » . فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذَلِكَ
وَذَهَبْنَ إِلَى الْفِيلِ ، فَلَمَّ يَزْلَنَ يَنْقِرَنَّ عَيْنَيْهِ حَتَّى ذَهَبْنَ بِهِمَا ، وَبَقِيَ
لَا يَهْتَدِي إِلَى طَرِيقِ مَطْعَمِهِ وَمَشْرَبِهِ إِلَّا مَا يُقَمُّهُ (٢) مِنْ مَوْضِعِهِ .

فَلَمَّا عَلِمَتْ ذَلِكَ مِنْهُ جَاءَتْ إِلَى غَدِيرٍ فِيهِ ضَفَادِعٌ كَثِيرَةٌ فَشَكَتْ
إِلَيْهِنَّ مَا نَالَهَا مِنَ الْفِيلِ . قَالَتِ الضَّفَادِعُ : « مَا حِيلَتُنَا نَحْنُ فِي
عِظَمِ الْفِيلِ ، وَإِنِّي نَبْلُغُ مِنْهُ ؟ » قَالَتْ : أَحِبُّ مِنْكُنَّ أَنْ تَصِرْنَ إِلَى
وَهْدَةٍ (٣) قَرِيبَةٍ مِنْهُ فَتَنْقَعَنَّ فِيهَا وَتَضْجِجَنَّ ، فَإِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَصْوَاتَكُمْ
لَمْ يَشْكُ فِي الْمَاءِ فَيَهْوِي فِيهَا » . فَأَجَبْنَهَا إِلَى ذَلِكَ وَاجْتَمَعْنَ فِي
الْهَادِيَةِ ، فَسَمِعَ الْفِيلُ نَبِيْقَ الضَّفَادِعِ وَقَدْ أَجْهَدَهُ الْعَطَشُ ، فَأَقْبَلَ
حَتَّى وَقَعَ فِي الْوَهْدَةِ ، فَاعْتَظَمَ (٤) فِيهَا .

وَجَاءَتِ الْقُبْرَةُ تُرْفِرُفُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَالَتْ : « أَيُّهَا الطَّاغِي الْمُفْتَرِ
بِقُوَّتِهِ ، الْمُخْتَوِرِ لِأَمْرِي ! كَيْفَ رَأَيْتَ عِظَمَ حِيلَتِي مَعَ صِغَرِ جُثَّتِي
عِنْدَ عِظَمِ جُثَّتِكَ وَصِغَرِ هِمَّتِكَ (٥) .

(١) العقاتيق : جمع عقق . وهو طائر أشبه بالفراب .

(٢) يقمُّه : أي يلتقمه من وجه الأرض .

(٣) الوهدة الهوة في الأرض .

(٤) اعتظم : سقط فيها وأشرف على الهلاك .

(٥) والجلدير بالذكر أن هذه القصة قد وردت في الفصل الأول من النص الجديد =

هذا النص مأخوذ من كتاب كلیلة ودمنة^(*) ، وهو كتاب حکایات قصيرة جرى على ألسنة الحيوان ، ذات مغزى وهو ارشاد الإنسان إلى الحِكم والأمثال، نقله ابن المقفّع عن الفارسية وكان قد نقل إليها عن الهندية ، ولكنه لم يعرّبه على النحو الذي نفهمه اليوم ، وإنما كان مقتبساً له ومتصرفاً فيه وزائداً عليه أبواباً ، ومحوراً إياه ، إلى ما يجعله مقبولاً لدى المسلمين وملائماً مناخهم العقلي .

والدليل على هذا التصرف والتحوير أن ما عثر عليه الباحثون في اللغة الهندية القديمة من أصول لبعض أبوابه - لم يكن مطابقاً تمام المطابقة - لما في نسخ كلیلة ودمنة التي بين أيدينا ؛ وأن المسائل الإسلامية تطفئ على كثير من مظاهره ، من مثل ذكر البعث

= لكتاب « بنجا تنترا » بينما يخلو منها النص القديم للكتاب انظر « بنجا تنترا » صفحة ٢٠١ وما بعدها ترجمة الدكتور ايندوشيكهر إلى الفارسية طبعة جامعة طهران .

ولا توجد هذه القصة كذلك في كلیلة ودمنة بهرامشاهي الفارسية إذ إنها تخلو من مقدمة بهنود بن سحوان ويشير الاستاذ عبد العظيم قريب في مقدمة كتابه منتخب كلیلة ودمنة بهرامشاهي إلى ترجمة فارسية لهذه المقدمة دون أن يصرح باسم المترجم وتاريخ ترجمتها . انظر مقدمة منتخب كلیلة ودمنة بهرامشاهي لعبد العظيم قريب حرف (و) طبعة وزارة التربية والتعليم الإيرانية .

(*) سنعرض فصلاً خاصاً عن هذا الكتاب في آخر هذا الفصل مع جدول للغات التي ترجم لها وتحديد السنة .

والقيامة ، والشواب والعقاب ، ووحدانية الله الفرد الصمد ،
وضرورة شاهدين لإصدار الحكم (١) .

لقد قسم الأديب ابن المقفع كتاب كلیلة ودمنة إلى خمسة عشر
باباً أساسية أشهرها باب الأسد والثور (٢) باب الحمامة المطوقة (٣)
باب البوم والغربان (٤) باب الناسك وابن عرس (٥) ، باب السائح
والصائغ وهو مثل من يضع المعروف في غير موضعه ، باب
الناسك والضيف وهو مثل من يترك ما في يده ليطلب غيره فيضيع
الاثنين ، باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين وهو مثل من ينفع
غيره بأرائه ثم هو لا يعمل بها . علماً بأن الأصول لم يعثر عليها

(١) راجع آثار ابن المقفع : « كلیلة ودمنة الأدب الكبير والأدب الصغير ، الدورة
التيمة ، رسالة الصحابة ، وآثار أخرى » طبعة دار الكتب العلمية .

(٢) كلیلة ودمنة : اسمان علميان ، وهما من أبطال القصة في الباب الأول من الكتاب
إذ تدور الأحداث حولهما كما أنها يلعبان دوراً رئيسياً على مسرح القصة - الأسد
والثور - .

ويقول ابن المقفع : « وكان فيمن معه - الأسد - في السباع ابتداءً أرى يقال لأحدهما
« كلیلة » والآخر دمنة ، وكانا ذوي دعاء « والعلم والأدب » .
كلیلة ودمنة ص ٩٩ تحقيق نائل المرصفي .

(٣) وهو يدور على المتحابين يقطع بينهما الكلوب المحتال ومغزاه الاختراس من الوشاة
وعلم التسرع في التصديق والحكم .

(٤) يدور على الاخوان المتعاونين في الضيق ومغزاه أن في الإجماع قوة .

(٥) يدور على العدو المتظاهر باللين ، ومعناه أن على الإنسان أن لا يفتري بعدوه .

(٥) ومغزاه أن على الإنسان أن يترث ويحكم عقله لأن في العجلة الندامة .

مجموعة في كتاب واحد من قبل ، ولا عُرف لها مؤلف واحد بالذات ، وإنما كانت عبارة عن قصص متفرقة نسبها الناس قديماً إلى رجل حكيم اسمه بيدبا ، وجعلوا الحوار فيها بينه وبين ملك لم يقفوا على ذكر له في التاريخ يدعى دبشليم . وهذا الأمر دعا أكثر من باحث^(١) إلى القول بأن الكتاب من وضع ابن المقفع ، وأنه استعان فيه ببعض القصص الهندية ، كما استعان بعناصر أخرى ، وإنما نسبه إلى الهند طمعاً في انتشاره ورواجه ، وحذراً من أن يتخذ خصومه ذريعة للتنكيل به لاشتماله على كثير من انتقاد الحكومة على سياستها^(٢)

والواقع أن كتاب كليلة ودمنة عجيب في بابه وقد ذكر الكاتب في التوطئة السبب الذي من أجله وضعه ، ومؤدّى ذلك أن ملكاً يدعى دبشليم ترعّ على عرش الهند بعد أن انحسرت عنها موجة فتوح الإسكندر . وأطاح الشعب بالوالي الذي نصبه الفاتح المقدوني الكبير ، إلا أن هذا الملك بدلاً من أن يسير سيرة عدل في أحكامه

(١) راجع كتاب كليلة ودمنة تعليق الشيخ إلياس خليل زكريا .

(٢) يشير الدينوري إلى أن الفرس كانوا يعرفون كتاباً باسم كليلة ودمنة : فيقول إن بهرام جوبين كان إذا نزل المنزل دها بكتاب كليلة ودمنة فلا يزال متكباً عليه طول نهاره فقال كسرى لخاله «بندويه» و«يسطام» ما خفت بهرام قط كخوفي منه الساعة حين أخبرت ادمانه النظر في كليلة ودمنة لأن الكتاب يفتح للمرء رأياً أفضل من رأيه وحزماً أكثر من حزمه انظر الأخبار الطوال لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري صفحة (٨٩) طبعة ليدن (١٨٨٨) .

وقد استوثق له الأمر : « . . . طغى وبغى وتكبر وتجبر ، وعبت بالناس واستصغر أمرهم وأساء السيرة فيهم » .

وكان في زمانه رجل فيلسوف اسمه بيدبا ، فلما رأى ما هو عليه من ظلم الرعية ، فكر في صرفه عن ذلك فجمع تلامذته وشاورهم : « وأجال الفكرة وأطال العبرة في أمر دبشليم » فرأى أن الواجب عليه أن لا يقف منه موقف الغافل المهمل . وأن لا يدفع عنه سوءه بالهرب منه ، وإنما بمواجهته ومجاهدته ولو باللسان وذكر لهم أنه جمعهم لهذا : « . . . لأنكم أسرتي وموضع سرِّي وبكم اعتضد . وعليكم اعتمد ، فإن الوحيد في نفسه والمفرد برأيه حيثما كان ، هو ضائع ولا ناصر له ، على أن الفاعل قد يبلغ بتدبيره وتعاونه مع غيره ما لا يبلغه بالخيال والجنود » . واستشهد على ذلك بمثل القبرة والفيل ^(١) .

وفي نظرة موجزة على النص مثل القبرة والفيل نجد أن قبرة داس الفيل بيتها ، فهشم بيضها وقتل فراخها ، فسألته إن كان ذلك استصغاراً لها ولبنى جنسها فقال هو كذلك ، ففكرت كيف تنتقم منه وهي عاجزة وضعيفة ، فذهبت إلى جماعة الطير ، وشكت إليهن ما فعل الفيل بها وأفراخها ، واتفق الجميع على أن تذهب المعاقق والغربان ، وتصير إليه وتفقأ عينيه حتى يصبح وهو لا يهتدي إلى مطعمه ومشربه ، ثم تذهب بعدها إلى الضفادع فتتقنن في حفرة وتوهمنه بأن فيها الماء ، فلا يلبث أن يأتي إليها فيوقعنه

(١) انظر كتاب الأدب القصصي عند العرب ، لموسى سليمان .

فيها . . . وهكذا يقضي جماعة الضعفاء البائسين على الملوك
المفترين الظالمين^(١) .

وهنا يبرز لنا الكاتب أن الظلم نهايته وخيمة ، وأن الظالم مصيره
حتماً إلى الزوال إذا عرف المظلومون ولو كانوا ضعافاً أن يتعاونوا
ويرسموا الخطط لتدبير الثأر من ظالمهم ، ففي الإتحاد قوة وعلى
الكبير أن لا يحتقر الصغير فقد يغلبه هذا بالعقل والتدبير ، ولكن
الكاتب أخفى آرائه هذه كلها . ولم يصرح بها مباشرة ، بل التمس
لها هذا الأسلوب الذي يحاور ويقص قصة الحيوان ، هدفه تعليم
الإنسان - بمنطق العقل التي تناسب كلماته إلى الفؤاد والوجدان
وبذلك تكون العبارة بليغة في كثير من الأحيان . وبينى الكاتب
قصته على مبدأ التعاون الموفور بين الأخوة والود القائم ثم هو
يستعين على التغلغل إلى قلب القارئ عبر السنة الحيوان .

ثم أن النص يدخل في باب الأدب القصصي لأنه يحكي حكاية
أو حادثة معينة ، وهي قصة خرافية لأن حادثته التي يرويها غير
ممكنة الوقوع ، إذ متى كانت القبرة تفكر وتتكلم وتذهب إلى
مشاورة غيرها من الحيوانات ؟ ومتى كانت الطيور والضفادع تنطق
كما ينطق البشر العاقلون ؟

هنا يكمن نوع من الطرافة في قصة القبرة والفيل ، وهو يهدف

(١) انظر كتاب المقيد في الأدب العربي ١ / ٣٩٣ منشورات المكتبة والمطبعة الإفريقية
بيروت (١٩٨٠) .

من هذه الأفضوصة إلى إعطاء مغزى . بعد أن غير مرماء وقلب ميناء . ومجمل القول أن نضع مكان الفيل والقبرة شخصية من الناس ونضع مكان الطيور والضفادع أشخاصاً آخرين فهل يستقيم الأمر؟ بل إن هذا ما قصد إليه الكاتب فعلاً ، لقد أراد تصوير حال الناس ، ولكن بأسلوب العبارة المرتبة والحجة القوية على السنة الحيوانات ومن طريق إنطاقها بما ينطق به الناس عادةً ، ولجوء الكتاب إلى مثل هذه الوسيلة بالتعبير يكون على الغالب إما لتبسيط القصة ، وتقريبها إلى إفهام الناشئة ، وإما لنقد الحياة الاجتماعية والسياسية بأسلوب رمزي مبطن لا يثير غضب الحكام المستبدين .

وهنا يقول ابن المقفع : «الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك»^(١) . وهذا الأديب بحكم أدبه وعبقريته كثير الخصوم والحساد الذين يقومون بالسعاية بينه وبين عليّة القوم ممن لهم اتصال به ولذلك نجد أن أغلب ما كتبه في هذا الفن كان دفعاّ لسعاية أو دحضاً لوشاية أو إبعاداً لفرية أو تكذيباً لوقبعة ، وهو في هذه الحالة الرمزية يعمد إلى النكتة والطرافة ، وتنطوي على مغزى حكيم ومتى كانت القصة كذلك فإنها تدعى القصة المثل أو ما يعرف باللغة الأجنبية بلفظة «Fable» أو «Apologue» على الأصح وقد اشتهر بها لافونتين^(٢) في القرن السابع عشر .

(١) راجع صبح الأعشى للقلقشندي ٧٣/١ طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .

(٢) هولافونتين (١٦٢١ - ١٦٩٥) شاعر فرنسي صاحب كتاب الأمثال الشهير الذي تأثر فيه بايزوب وفيلدر وكليلة ودمنة ، يمتاز أسلوبه بعلوته وحيويته .

إن الذي أرادَه ابن المقفّع من وراء قصصه ، لا يمكن فهمه إلا بالنظر إليه على ضوء الظروف التي رافقت حياة هذا الكاتب ، فابن المقفّع شَبَّ في العصر العبّاسي وهو العهد الذي انتقل فيه الحكم من الأمويين إلى العبّاسيين وشهد ما رافق هذا الانقلاب من فظائع حاقت بالرعية ، نتيجة لفداحة القتل واختلال الأمن وآلمه ما رأى من بطش الخليفة وشدة جورهِ ، وميله إلى الانتقام واحتكامه إلى السيف في شأن كثير من الناس ، متلذّزاً حجج واهية ، وهنا نلاحظ أن أدينا يفضّب للجرائم التي ترتكب بصورة بشعة فيصورها في قالب هذه القصة ، وكأنه أراد أن يكون المنصور كما كان يبدى من ديشليم ، ويلج الكاتب في طلب القصاص من الفيل الذي هشم بيض القبرة وقتل فراخها ، باتحادها مع إخوانها الضعاف^(١) .

ومن صميم تدخل كاتبنا في شؤون الدولة تقديمه النصيح للملك وقد رمز إليه بالفيل ، ويدعوه أن لا يسلك طريق الظلم أو يستهتر بحق الرعية ، حتى لا يؤلب الرأي العام عليه ، بمعنى إرشاد الرعية ، وتوجيهها نحو الطريق التي تسلكها لتدبير الثأر من ظالمها وتهددهم بقدرة الرعية على الانتقام رغم ضعفها . وذلك بفضل

(١) وفي كتاب بنجاحا تنترا يروي المؤلف هذه القصة على لسان أنثى طائر المطر وهي تبدي قلقها لزوجها من خطر مد مياه البحر بيننا ينصحها زوجها بالبقاء ويستهر الحوار بأن تضرب له الزوجة مثل الفيل والعصفور فمدخل هذه القصة وردت في كتاب كليلة ودمنة العربي ضمن نص السلفطة والبطين . كليلة ودمنة صفحة ٢٠٢ تحقيق خليل اليازجي .

التعاون المخلص بين جميع أفراد الشعب . من هنا ندرك أن مغزى ابن المقفّع من حكايته هو مغزى سياسي معين يتمثل في نقد الحكم العباسي وبعثه وتصوير واقع حاله ، وإظهار فائدة التعاون والمشاورة ورسم الخطط من قبل الشعب للوقوف بوجه هذا البطش وردّه .

وعلى مبدأ الظن ربما كان هذا الكتاب من الأسباب التي قتلت ابن المقفّع فقد كان من ضحايا المنصور كثيرون جداً قتلهم هذا الخليفة بالظنة وفي تهمة الزندقة ، ويقول الأستاذ عبد اللطيف حمزة : « . . . ومن يدري لعل ابن المقفّع لم يجد طريقة يصلح بها من اعوجاج الخليفة ويتشفى لنفسه بها ، إلا أن ينقل إلى الناس كتاب كليله ودمنة وهو يرجو أن يقرأه الخليفة فيعدل عن غيه ويقرأه غيره فيتسلى بلهوه ، وأكبر الظن أن هذا هو الغرض الرابع الذي لم يصرح به في مقدمة كتابه »^(١) .

وابن المقفّع نفسه أكد على ما قاله الأستاذ عبد اللطيف حمزة حين قال عن هذا الكتاب « . . . جمع لهواً وحكمة . . . يجتنبه الحكماء لحكمته والسخفاء للهوه » ، وقد طلب من القارئ الجدلي أن لا يظن « أن نتيجته إنما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين أو محاوراة سبع لثور . . . لأن لهذا الكتاب غرضاً أقصى مخصوصاً بالفيلسوف خاصة . . . » .

(١) انظر كتاب ابن المقفّع لعبد اللطيف حمزة صفحة ٨١ طبعة دار النشر الحديث د .

لقد حرص ابن المقفع على المغزى الاصلاحى فى كتاب كلىلة
ودمنة ولكن لم يشغله عن الفن الذى أرسى قواعد فى حكايته ووفر
سائر مزايا الفن القصصى من حيث تراكيبها المتلاحقة الأجزاء
وترابط حلقاتها . وكأنها مشهد مسرحى له بدايته ونهايته . هذا ما
كان من عصر ابن المقفع فى أكثره نقل علوم الأعاجم والاستفادة
منها^(١) .

ولقد تميز أسلوب ابن المقفع بأنه أسلوب المفكر الحكيم الذى
لا يرضى بالأحكام يطلقها سريعة غير معلة بل يدعمها بالمثل
يسرده مبتعداً به عن الموعظة المباشرة إلى أسلوب القصة والحوار .
« . . إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأبين للمعنى ،
وأنق للسمع ، وأوسع لشعوب الحديث » .

إن من أوائل الكتاب فى العربية منذ عهدها بدأت
بعبد الحميد ، وابن المقفع فهما أستاذ المدرسة الكتابية الأولى ،
ومن خصائص هذه المدرسة ميلهم إلى القول الموجز فعباراتهم
كانت مساوية لمعانيهم ولقد استخدموا الأسلوب المنطقي ،
فالموضوع ينقسم إلى فقرات وفقرات تنقسم إلى جمل ، ومن

(١) إن قصة الفيل والقبرة من القصص الهندية التى دخلت فى اللغة العربية ثم
الفارسية السريّة ولكن لا نعلم متى انتقلت هذه القصة من الهندية إلى العربية
فهل كان بهنود بن سحوان هو من نقلها لأول مرة من الهندية إلى العربية
مباشرة ؟ انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني صفحة (٢٣٠)
طبعة دار القومية د . ت .

خصائصه أيضاً أنه في تركيب هذه الألفاظ يذهب مذهب السهولة فلا يسّجّع ، ولا يصنع وإنما يرسل الكلام إرسالاً يسمعه الجاهل فيظن أنه يحسن مثله ولكنه يمتنع عليه ، ومن هنا سميت طريقة ابن المقفّع في الكتابة بطريقة السهل الممتنع .

وفي الواقع لقد اختلف المؤرخون في أصل كتاب كليلة ودمنة فذهب بعضهم إلى أن ابن المقفّع وضعه ثم ادعى ترجمته ليبعد عنه تبعة ما فيه من تعاليم للملوك وذوي الأمر ، واستندوا في رأيهم إلى أقوال بعض القدماء كابن خلكان الذي قال : « يقال إن ابن المقفّع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة وقيل إنه لم يضعه وإنما كان بالفارسية فنقله إلى العربية وإن كان الكلام الذي في أول هذا الكتاب من كلامه^(١) .

وهنا نورد ما قاله العلامة المحقق أبو الريحان البيروني في كتابه « تاريخ الهند » ما نصه : « ولهم (أي الهند) فنون من العلم آخر كثيرة وكتب لا تكاد تحصى ولكني لم أحط بها علماً ، وبودي إن كنت أتمكن من ترجمة كتاب « پنج تنترا »^(٢) وهو المعروف عندنا بكتاب كليلة ودمنة ، فإنه تردد بين الفارسية والهندية ثم العربية والفارسية على السنة قوم لا يؤمن بتغييره إياه ، كعبد الله بن المقفّع في زيادته باب برزويه فيه قاصداً تشكيك ضعيفي العقائد في الدين

(١) راجع كتاب وفيات الأعيان وفيه تفصيل وافي عن هذا الموضوع .

(٢) پنج أي خمس مقالات وتنترا معناها صندوق المعاني الطيبة .

وكسرههم للدعوة إلى مذهب المنانية ، وإذا كان متهماً فيما زاد لم يخل عن مثله في ما نقل .

ومن جهة التفكير فقد اشتمل هذا الكتاب على معاناة لمشكلات مجتمعه وتفاعله مع ظروف الواقع الذي عاش فيه ، ولقد فهم الأدب على أنه رسالة يتمثل فيها صدق التجربة وصفاء العقل ، ثم قوة الصلة بين مضمون النص وصوره التعبيرية وبين الحركة الإنسانية والاجتماعية المتفاعلة مع وجدان الكاتب وتفكيره ، وقد برز هذا التفاعل بما تضمنه النص من أفكار ثورية هزت قصور الخلفاء بحيث أنها حرّضت عليهم الجماهير ، وفتحت لهم عيون الرعية ، بما قدمت إليها من دروس ملأناها بالحكمة وشحنتها بالموعظة والعبرة .

أما من حيث التعبير فقد امتاز أسلوبه بخاصته الرياضية التي اختصت بها فلسفة اليونان ، ولا سيما الفلسفة الفيثاغورية^(١) وما فيها من عدد وتقسيم ، حتى ظن بعض المستشرقين أن لكليلة ودمنة أصلاً يونانياً « ولقد سعى ابن المقفع لتوسيع الجملة العربية وتليينها ودرج الكلام في سلسلة كالرياضيين وقسم الأشياء بالمنطقيين ، ولم يقف عند هذا الحد بل أحدث شكلاً فنياً استغنى به عن إلقاء العظة بالأسلوب المباشر ليعبر عنها بأسلوب القصة والمثل وتنظيم الحوار . ولعل كتاب كليلة ودمنة هو أقوى ما كتبه ابن المقفع لأنه :

(١) الفيثاغورية : نسبة إلى فيثاغورس فيلسوف يوناني ٥٦٩ - ٤٧٠ ق . م .

- وضعه بلغة سهلة ، واعتمد فيه على تصوير النفس الإنسانية بمختلف حالاتها .

- صبه بقالب قصصي ، وجعله بالأسلوب المنطقي إنشاءً وبهذا أزال عنه الجفاف والتعقيد اللذين يعمان كتب المنطق والفلسفة .

- ودرس فيه قضايا مثل تحرير السلطان والرعية من عيوبهم ، والثورة على الظلم ، والتعاون الحكيم لبلوغ الأهداف . ونشر فيه قيم خيرة وروح الفضيلة ، وهو كتاب عرفته اللغة العربية منذ نيف وألف من السنين والأيدي تتناوله والمدارس حافلة به .

الأدب الصغير:

ترجم هذا الكتاب أيضاً فلم يكن ابن المقفع في الأدب الصغير مولداً وإنما هو ناقل متصرف في النقل تماماً كما فعل في كتيبة ودمنة ، وقد قال ابن المقفع في مقدمة هذا الكتاب « . . . قد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عَوْن على عمارة القلوب وصقالها وتجليه أبصارها وإحياء للتفكير ، وإقامة للتدبير ، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق » .

وتأثير هذا الأدب في إنماء العقول فهو يقول : « . . . فكما أن الحبة في الأرض لا تقدر على أن تخلع ييسها ، وتظهر قوتها ، وتطلع فوق الأرض بزهرتها ونضرتها ، إلا بمعونة الماء الذي يغور إليها في مستودعها ، فيذهب عنها أذى اليبس والموت ، ويحدث لها بإذن الله القوة والحياة ، فكذلك سليقة العقل مكنونة في مغزها

من القلب ، لا قوة لها ، ولا منفعة عندها حتى يعتملها الأدب الذي هو نماؤها وحياتها ولقاحها .

ثم قال « إن الناس لا يبتدعون هذا الأدب لأنهم يروونه ويحكمونه فإن أحدهم وإن أحسن وأبلغ ، ليس زائداً على أن يكون كصاحب قصص ، وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً ، فنظمه قلائد وسموياً وأكالييل ووضع كل فص موضعه ، وجمع إلى كل لون شبه مما يزيده بذلك حسناً » .

والأدب الصغير عبارة عن دروس خلقية واجتماعية وتهذيب النفس وترويضها على الأعمال الصالحة ومعرفة الخالق ، وتحت على طلب العلم وتشتط على العالم التواضع وعدم الاعتماد بالنفس ، وتدعو المرء إلى تأديب نفسه ومحاسبتها وتحسن له الزهد والتصوف ، وهي مع ذلك تعظم شأن المال ، ولا تنهي عن جمعه ، « ومن لا مال له فلا شيء له والفقر داعية إلى صاحبه مقت الناس » .

على أن الكاتب ينهك عن الاغترار بالمال الكثير ويدعوك إلى القناعة بالقليل منه ، لأنه يريد مائناً للفقر ليس غير ، وهو على نصائحه الاجتماعية والأدبية لا يغفل عن المواعظ الدينية فيأمر بالتقوى والتعبد لله ، ومعرفة نعمه التي لا تحصى ، والشكر له لتزداد هذه النعم ..

وجملة القول إن الأدب الصغير رسالة نفيسة في سياسة الاجتماع وتهذيب النفس ورياضتها على الأعمال الصالحة ، ومعرفة الخالق .

ومجمل القول على موضوع الكتاب ، فهو هذا الكلام الذي قاله ابن المقفع من أنه محفوظ واعتذر لك في مقدمته عن ذلك بقوله ، « . . . ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه على وجهه ، فلا يرين عليه ذلك ضؤولة ، فإنه من أعين على حفظ قول المصبيين وهدي للاقتداء بالصالحين ووفق للأخذ عن الحكماء فلا عليه إلا أن لا يزداد فقد بلغ الغاية وليس بناقصه في رأيه . . . » .

وهذا يدل على أن الكاتب يعتقد أن الذين تقدموه من الحكماء بلغوا الغاية ، فلم يتركوا زيادة لمستزيد ، ويوضح ذلك في قوله : « . . . وجُل الأدب بالمنطق وكل المنطق بالتعلم ، ليس حرف من حروف معجمه ولا اسم من أنواع أسمائه إلا وهو مروي متعلم مأخوذ عن إمام سابق من كلام أو كتاب ، وذلك دليل على أن الناس لم يبتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها ، إلا من قبل العليم الحكيم . . . » .

وهنا يقر ابن المقفع بأنه أخذ كتابه هذا عن غيره أما انشاؤه فيختلف عن انشاء كليله ودمنة لأن ابن المقفع اتخذ فيه الأسلوب المنطقي فظهر عليه بعض الجفاف وتخللته جمل اعتراضية فلم يخل من التعقيد ، وازدحمت فيه المعاني الفلسفية الدقيقة فصعب التماسها ، لأنها أفرغت بقالب انشائي بحث ، كله تحذير وتحضيض وأقيسة وأعداد وتقاسيم ، فلم يتم لها الوضوح الذي تم لها في حكايات كليله ودمنة ، وقد أورد فيه جمل وأقوال واردة في كليله ودمنة بحروفها ولكنها مندمجة هناك في القالب القصصي

السهل ، ولا يخلو الأدب الصغير من ضرب المثل ولكن أمثاله قصيرة لا تشبه أمثال كلية ودعمته التي ساقها مساق النواذر والأقاصيص .

الأدب الكبير^(١) :

يتناول ابن المقفع موضوع كتابه هذا بعد أن يذكر الأسلاف ويعظم ما تركوا للخلف من علوم ، ويريد بهؤلاء الأسلاف الأمم الأعجمية وإليهم يشير بقوله : « . . . إن الرجل منهم كان يفتح له الباب من العلم ، والكلمة من الصواب وهو بالبلد غير المأهول ، فيكتبه على الصخور مبادرة منه للأجل وكراهية لأن يسقط ذلك من بعده » . ثم يعترف أنه أخذ لكتابه هذا من أقوال المتقدمين ، وقسم الكتاب إلى قسمين : قسم يتكلم به على علاقة السراعي بالرعية أي على السلطان والمتصلين به ، وقسم يتكلم به على الرغبة بعضها ببعض وتكلم به على الصديق ، ويستهل القسم الأول

(١) وهو ما سماه ابن النديم في فهرسه باسم « مآثر حسيس » وذهب الأستاذان هوفمان وجوسسي إلى أن اسمه محرف عن « مه فراجوشناس » ويقول الأستاذ عبد اللطيف حزة في ابن المقفع صفحة (٢٤٠) م على المعنى بأنه توصل إلى أن الكلمات ينبغي أن تكون مؤلفة من « مه » بمعنى عظيم أو كبير و « فراج » بمعنى سمو أو علو . « شناس » بمعنى الشرح أو الفهم ، فيكون المعنى الإجمالي لهذه الكلمات شيئاً قريباً من قولنا : « الكتاب الكبير في المعارف العالية » .
ولقد ضبطه ابن قتيبة في كتاب عيون الأخبار ١ / ٧٦ باسم الآداب الكبيرة لابن المقفع - طبعة دار الكتب العلمية بيروت د . ت .

بقوله : « وأنا واعظك في أشياء من الأخلاق اللطيفة » . . . ثم يأخذ في نصيح السلطان مطالباً إياه احتذاء المثل الأعلى فيوصيه وصايا حسنة تتناول سياسته للعمال والرعية ، وما ينبغي له أن يتحلى به ، من الخصال الحميدة ، فمن جملة نصائحه له أن لا يزيد من ساعات شهوته ودعته ، وينقص من ساعات عمله وتعبه ، وأن لا يعرف بحب المدح ، وأن يتحلى بثلاث خصال : رضى به ، ورضى سلطانه أن كان فوقه سلطان ، ورضى صالح من يلي عمله ، وأن يتخذ بطانته من أهل الدين والمروءة . وأن لا يأنف من المشورة لأنه يطلب الرأي للانتفاع به لا للافتخار به .

فيقول : « وأعدل السير أن تقيس الناس بنفسك ، فلا تأتي إليهم إلا ما ترضي أن يؤتى لك » .

ويوصيه أن لا يعاجل بالشواب ولا بالعقاب وأن يصبر على أهل العقل والسن والمروءة دون غيرهم ، ويوصيه بتفقد فاقة الأحرار ليسدها ، وطفیان السفلة ليقمعه ، ويريد بذلك أن يكون مالك الأمر يقظاً متنبهاً لجميع أحوال رعيته ، ثم ينتقل بالكلام على المتصلين بالسلطان فيعطيهم نصائح تتعلق بسياساتهم معه ، وفيها أشياء كثيرة اعتمد عليها بعده الفارابي وابن سينا في كلامهما على سياسة المرؤوس لرؤسائه . فمنها هرب المرؤوس من صحبة والٍ لا يريد صلاح رعيته لئلا يهلك في دينه إذا صحبه ، وفي دنياه إذا صحب الرعية وأغضبه .

ومنها مداراة الوالي والنظر إلى ما يحب وما يكره ومنها تزيين

رأي الولاة وقلة استقباح ما يصنعون ، وغير ذلك من النصائح التي تختص بمصاحبة الملوك ولقد أراد ابن المقفع بهذه النصائح إظهار استبداد أولي الأمر ، والتغير من مصاحبتهم ، ويعتقد بطرس البستاني : إن أبا جعفر المنصور لم يكن راضياً عما فيه من ذم السلطان^(١) .

ويقول عبد اللطيف حمزة : « يمكن أن يكون للأدبين الصغير والكبير أثر للثقافة اليونانية إلى جانب الثقافة الفارسية الغالبة عليهما » . ويدلك على النزعة اليونانية قوله : « ومن العلم أن تعلم أنك لا تعلم ما لا تعلم » . فهو يذكر القارئ بمذهب « سقراط »^(٢) وطريقته في تعليم الناس وقوله : « إن العاقل ينظر فيما يؤديه ، وفيما يسره فيعلم أن أحق ذلك بالطلب - أن كان مما يحب ، وأحقه بالإتقاء - إن كان مما يكره أطوله وأدومه وأبقاه ، فإذا قد أبصر فضل الآخرة على الدنيا وفضل سرور المروعة على لذة الهوى ، وفضل الرأي الجامع العام - الذي تصلح به الأنفس والأعقاب - على

(١) انظر كتاب أدباء العرب في العصر العباسي لبطرس البستاني (١٥٥) طبعة دار الثقافة بيروت (١٩٦٨) .

(٢) فيلسوف يوناني نحو (٤٧٠ - ٣٩٩) ق . م ولد في أثينا وعلم فيها ، أحدث ثورة في الفلسفة بأسلوبه وفكره ، وجعل محور الفلسفة معرفة الإنسان نفسه ، ودرس تصرفاته والنواميس التي تدفع إليها وبهذا أسس علم الأخلاق . كان تعليمه على طريقة السؤال والجواب ، شرب السم فمات في سجنه ، وصلت إلينا تعاليمه في كتب تلاميذه منهم أفلاطون .

حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً ثم يضمحل ، وفضل الأكلات على الأكلة ، والساعات على الساعة ، « (١) .

وكذلك « فإنك تلمح في ثانيا هذا رأي « أبيقور » (٢) وهو أنه يجب أن يراعي في تفضيل لذة على لذة - الشدة والمدة وتفضيل اللذائذ العقلية والروحية على اللذائذ البدنية وهكذا « (٣) .

وأما القسم الثاني فقد خصه بالصديق وحسن العلاقة بين الناس والتأدب في معاملة الأصدقاء وحفظ المودة والوفاء لهم ، ويستعمله بقوله : « ابذل لصديقك دمك ومالك » (٤) . ومن وصاياه أن لا ينتحل الإنسان رأي صديقه لئلا يثير سخطه عليه ، وأن لا يشارك محدثاً في حديث يعرفه فإن ذلك خفة وسوء أدب وسخف ، وأن يحسن الاستماع ويخفض الصوت عند الكلام ، ولا يسفّه أقوال

(١) انظر كتاب ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة صفحة ٢٤١ وما بعدها طبعة دار النشر الحديث د . ت .

(٢) فيلسوف يوناني فلسفته عملية نحو (٣٤١ - ٢٧٠ ق . م يقول فيها أن في اللذة سعادة الإنسان وقبل كل شيء اللذة العقلية والروحية كالصداقة والفضيلة .

(٣) انظر كتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين ٢/٢٠٣ طبعة القاهرة (١٩٣٦) وما قبلها .

(٤) وابن المقفع عظيم المودة والوفاء والدليل قصته مع عبد الحميد وفيها وأنه لما قتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية استخفى عبد الحميد فعثر عليه في الجزيرة عند ابن المقفع وفاجأهما الطلب وهما في بيته ، فقال الذين دخلوا : أيكما عبد الحميد؟ فقال كل واحد منهما : أنا ، خوفاً على صاحبه إلى أن عرف عبد الحميد وسلمه . السفاح إلى عبد الجبار فقتله ونجا ابن المقفع على كره منه . شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون صفحة ١٤٩ طبعة القاهرة .

جلسائه ، وابن المقفع في أثناء كلامه على الصديق ينهاك عن أشياء لا يصح التخلق بها ، ويوصيك أن تحترز من سكر السلطة ، وسكر العلم وسكر المنزل وسكر الشباب ، ويختم كتابه بذكر الصفات الحسنة التي ينبغي للمرء أن يتحلى بها في حياته ، وهي خلاصة ما كتبه في الأدب الكبير .

والأمر الذي يلاحظ في الكتاب اعتماد الكاتب على العقل في كل شيء لذلك ترى إنشاء الكتاب خطائي محض ، كله أمر ونهي ، وقد خلا من الأمثال ولم يغلب عليه سوى الأسلوب المنطقي ، فقلّت قياساته فجاءت عبارته أسهل من الأدب الصغير وأوضح .

ويقول ابن المقفع نفسه « . . . البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها » . والجاهل لا يفهم الكلام إلا إذا كان سهلاً واضحاً فإن فهمه طمعت نفسه في احتذائه ، غير عالم أن البليغ السهل صعب الرياضة بعيد المنال . لأنه ينبغي له أن يأتي بالكلمة المأنوسة والابتعاد عن الكلمات الغريبة الوحشية لذلك ينبغي عليه معرفة الكثير من المترادفات حتى يدخل إلى البلاغة ، ولطالما أوصى الكاتب بترسم خطاه فقال : « إياك والتشيع لوحشي الكلام طمعاً في نيل البلاغة فإن ذلك هو العي الأكبر » .

وهو كغيره من المتقدمين لا يحفل بتسجيع الألفاظ وتزويقها ولا يقصد إليه البتة إلا ما جاء عفواً ، وقضت به الفصاحة في أثناء الكلام . وهذا لا يعني أنه لم يكن يتخير ألفاظه ويتقنها وقال

الراغب الأصبهاني^(١) : كان ابن المقفع كثيراً ما يقف إذا كتب .
فقيل له في ذلك ، فقال : إن الكلام يزدهم في صدري فأقف
لتخيره

وامتاز في حلاوة ألفاظه وتقسيمه جملة متسلسلاً في ترتيب
وتناسق وجملة عادية لا تعقيد فيها ولا طباق ولا جناس ولا سجع ،
وهذه البساطة هي الصفة المميزة لأسلوب ابن المقفع ، وقال أبو
العيناء : «كلامه صريح ولسانه فصيح وطبعه صحيح ، كأن بيانه
لؤلؤ منشور ، وروض ممطور»^(٢) .

والأقوال فيه كثيرة وكلها تدل على منزلته الرفيعة في دولة الشر ،
والواقع أن ابن المقفع كان يدرك البلاغة إدراكاً دقيقاً بهذا المعنى ،
وأنه وصف أسلوبه هو بهذا الوصف - إن الكلام يزدهم في صدري
فأقف لتخيره - وأكبر الظن أن أسلوبه محبباً لدى الناس مع أنه
عجمي التفكير في جميع مؤلفاته وهو أول مفكر تناول الموضوعات
العقلية بإنشاء رفع به لغة الأدباء ، وخلص من تمويه الحضارة
الجديدة وتزييقها ، فجاء متنوع العبارة يجري مع الطبع .

(١) انظر كتاب محاضرات الأدباء للراغب الأصبهاني صفحة ٨٤ طبعة القاهرة د .
ت .

(٢) هو القاسم الهاشمي أبو العيناء ، نحو (٨٠٧ - ٨٩٦) ولد ونشأ في الأهواز
وتوفي في البصرة أديب وشاعر له أخبار ونوادر في قصر الخليفة وبجالس الأمراء
حفلت بها كتب الأدب .

رسالة الصحابة :

وهي من أشهر رسائله التي كتبها لأبي جعفر المنصور^(١) والأغلب أنها من وضعه وصناعته ولكنه استعار ببعض الكتب الفارسية وقد سميت رسالة الصحابة لتضمنها كلاماً على بطانة الخلفاء والولاة وأصحابهم الذين يقربونهم ويجعلونهم موضع السر منهم وسميت أيضاً « الهاشمية » نسبة لبني هاشم وهم أجداد بني العباس ، وهذه الرسالة التي كتبها ابن المقفع - توشك أن تكون برنامج ثورة موجهة إلى المنصور ويقول الأستاذ طه حسين : « إنها وخدها السبب في قتل ابن المقفع » . وفي هذه الرسالة تجد تشريعاً جديداً من عمل الكاتب يقترحه على الخليفة ليعمل به في أمور شتى كان أهمها أمر القضاء الذي كثرت فيه الأقوال وأصبحت بسببه الدماء مباحة وكان من حقها أن تحقن ، ودماء مباحة أصبحت محرمة وقد كان من حقها أن تهدر - وليس هيناً على أحد أن يجابه كل هذا الخطر أو أن يصمد لمثل هذا البطش ! ولكن لا أقل من أن يعمل الكاتب الأديب حيلته وذكائه إن أراد إصلاحاً من هذه الناحية وتلمس أنه يعتمد في بعض الأحيان إلى الإشارة بعبارات صريحة كما فعل في هذا الكتاب فيقول بعد أن دعا الخليفة إلى العطف على أهل الشام حتى يكسبهم إلى جانبه بدلاً من أن يظفروا معادين

(١) لم يصرح ابن المقفع باسم أمير المؤمنين لذلك اختلف الباحثون في أمره هل هو السفاح أو المنصور ؟ ويرى الأستاذ أحمد أمين أن الكلام موجه إلى أبي جعفر المنصور وهذا ما نشته .

للدولة يترصون بها - : « . . . وقد علمنا التاريخ أن الملك إذا خرج من قوم بقيت فيهم بقية يحنون إلى مجدهم القديم ، فيثرون وتكون ثورتهم سبب استئصالهم وتدويخهم » . وقال أيضاً : « . . . ومما يذكر به أمير المؤمنين أمر فتيان أهل بيته وبني أمية وبني علي وبني العباس ، فإن فيهم رجالاً لو متعوا بجسام الأمور والأعمال سلبوا وجوهاً وكانوا علة لأخرى » (١) .

- وأما رجال البلاط فقد ندد بهم ابن المقفع في هذه الرسالة التي سماها باسمهم وهي « رسالة الصحابة » ويعني بالصحابة هنا بطانة الخليفة ، وكان هذا المعنى معروفاً في تلك الحقبة ، وفي الرسالة تقرير في نقد نظام الحكم ووجوه إصلاحه وعلى زعم الكاتب في رسالته هذه - أنه في سخطه على البطانة إنما يعبر عن آراء الناس فيهم . وأن الناس يرون في أمر هذه البطانة عجباً وفي اختيار الخليفة لهم ظلماً : أما العجب فلأنهم لا يمتازون بأدب ولا حسب ، مسخوطون في آرائهم مشهورون بفجورهم ليس لهم في الدولة كبير بلاء ولا عظيم غناء ، وأما الظلم فلأنه يؤذن لهم مع هذا على الخليفة قبل كثير من أبناء المهاجرين والأنصار ، ويجري عليهم الرزق أضعاف ما يجري على كثيرين من بني هاشم ، فدخلت المحنة بذلك على الأحساب والمروءة والنجدة والشرف وابتعد الفضلاء عن الخليفة حتى أن قوماً من فضلاء البصرة - وفيهم

(١) انظر كتاب ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة ١٥٣ وما بعدها دار النشر الحديث د .

ابن المقفّع أتوادر الخلافة في أيام السفاح - فأبوا أن يزوروه لما يعلمون من بطانته ومن سيرتهم السيئة ! »^(١) .

والرأي عند ابن المقفّع أن يحسن الخلفاء اختيار بطانتهم ، لأن بطانة الخليفة كما يقول : « بهاؤه وزينته ، وخاصته من عامته ، وألسنة لرعيته . لا تصلح الرعية إلا بهم ، ولا تستقيم الأمور إلا على أيديهم » . لقد جعل ابن المقفّع القسم الكبير من رسالته يدور حول الجند متناولاً شؤونهم المادية والأدبية - وعاب عليهم أمور كثيرة منها : الجهل وسوء الخلق وشدة الغيرة من بعضهم بعضاً ، والميل إلى الترف بسبب كثرة المال ، وكثرة الزهو الذي يخشى على الدولة نفسها منه . - فلقد أشار ابن المقفّع إلى وضع قانون يبين للخليفة ولهم ما يفعلونه وما يتجنبونه ، واقترح الكاتب على أمير المؤمنين أن يبذل جهده في إصلاح الجند باتّباع أمور أولها : ألا يُولي أحداً منهم شيئاً من الخراج « لأن ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة » وداعية لهم إلى البطر أحياناً وظلم الناس أحياناً ، والخروج على الدولة إن دعا الأمر .

والثاني : أن ينظر الخليفة في أمر الجند فمن كان غير كفء للمركز الذي يشغله عزله - أي مراعاة الكفايات في القيادة فيؤلي خيار الجند - ومن كان منهم أفضل من بعض رؤسائه فليلتبس له مكاناً يليق به ، ففي ذلك قتل للغيرة من نفوس المغموين ،

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفّع سليم الجندي ، وابن المقفّع خليل مردم سعد طبعة دمشق عام ١٩٣٠ وابن المقفّع لعبد اللطيف حمزة صفحة ١٥٩ وما بعدها .

وحسم للزهو من نفوس الذين واتاهم الحظ وليسوا أكفاء لما واتاهم
به .

والثالث : أن يتعهد الخليفة بتثقيف الجند ثقافة علمية وخلقية
بالتعليم والتهديب وأن يأخذهم بالقصد والتواضع ، وأن يعودهم
العفة والأمانة وأن يجنبهم الترف ولين العيش ، وأن يعين وقت
محدد للجند يقبضون فيه رواتبهم ، وأن يتقصى أحوالهم وأخبارهم
وحالاتهم ، ويستعين على ذلك بالثقة من أصحابه والمخلصين من
رجاله . ففي ذلك حزم واستئصال للشر قبل استفحاله وبذلك تنقطع
شكيتهم ، وتستفيد الدولة من قوتهم - وهي دولة ناشئة كثيرة الأموال
واسعة الأطراف كثيرة الأعداء .

ثم انتقل الكاتب إلى موضوع الجباة وعمال الخراج « أي المال
المقروض على الأراضى » فشكا الفوضى في هذا الموضوع وانتقد
سلوكهم بشدة وصور للخليفة ظلمهم وسوء سيرتهم ومحاولة رجاله
إخفاء الأمر عنه . وكان جديراً بالدولة أن تراقبهم وتضرب على
أيديهم وتريح الناس منهم فقد ضاق الناس بهم ذرعاً ، وقاسوا منهم
كل بلاء^(١) .

عرض الكاتب على الخليفة الإصلاح بأن يتخير الخليفة من
يتولون هذا العمل وشدة الرقابة عليهم وتغييرهم عند ظهور الخيانة
منهم ، وقد أشار برأى علم أن تنفيذه عسير ، وأدرك أنه لا يتيسر

(١) ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة - ١٦٢ وما بعدها .

للدولة إلا بعد أن يستقر لها الأمر ويتقدم بها العهد . ويفرغ رجالها للإصلاح الداخلي الذي يعود على الشعب والحكومة معاً بالخير والرخاء .

نصح ابن المقفع بأن تمشح الأرض - وتكتب أسماء الملاك في « سجلات » ويكتب أمام كل مالك وظيفته - أي المبلغ الذي يؤديه للدولة على الجزء الذي يملكه ، قال : « فلو أن أمير المؤمنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والأرضين وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك وإثبات الأصول ، حتى لا يؤخذ رجل إلا بوظيفة قد عرفها وضمنها ، ولا يجتهد في عمارة إلا كان له فضلها ونفعها ، لرجونا أن يكون في ذلك صلاح للرعية ، وعمارة للأرضين وحسم لأبواب الخيانة وغش العمال ، وهذا أمر مؤونته شديدة ، ورجاله قليل ونفعه متأخر ! . . . »

وأما القضاة فكان حسابهم عند الكاتب عسيراً وكان أمرهم في نظره عجيباً ، فلقد عجب في رسالته تلك من فوضى الأحكام وتناقض الآراء ، وذلك حتى في القضية الواحدة والبلدة الواحدة ، يُحكم فيها بقضائين متناقضين وكيف أن الفقهاء يحتجّون لهذه الآراء المختلفة وأن القضاة فريقين : فريق يحكم بالسنة والقياس ، وفريق يعمل بالرأي أو العقل فوضع علاجاً لهذه المعضلة بأن يوضع قانون رسمي تجري عليه المملكة الإسلامية في جميع أنحاءها ويرجع في هذا القانون إلى ما يرشد إليه العقل والشرع في معنى العدالة - وأن يجعل الخليفة من نفسه مرجعاً أعلى في هذه المسائل

التي تمس القضاء - فإذا اختلفت القضية في شيء ردهو إلى الخليفة فنظر فيه الخيفة واستعان في ذلك بالفقهاء ، فإذا وصل بعد هذا كله إلى حكم استطاع أن ينسخ به كتباً يحفظ بعضها عنده ، ويذيع بعضها الآخر على القضية في الأمصار .

فإذا اجتمعت له طائفة كبيرة من هذه القضايا والأحكام ، وإذا فعل كل خليفة من بعده مثل ذلك - تألف للحكومة في نهاية الأمر قانون كبير لا يضل قاض باتباعه ولا يختلط على الناس أمرهم إذا اهتموا به .

ويقول الدكتور طه حسين : «وهذه الفكرة التي يُعنى الناس بها الآن لم يتدعها ابن المقفّع ، بل هي أثر من آثار الثقافة اليونانية ، فقبل ابن المقفّع بقرنين نشر جوستينيان^(١) قانونه وهو مجموعة القوانين الرومانية « ومن عادات الرومان أنه إذا انتخب الـ PRETORESS - القضاة - يصدر كل واحداً منشوراً بالقواعد التي ينبغي أن يكون عليها حكم القضية في أثناء ولايته»^(٢) .

(١) عن جوستينيان بالقضاء وعمل على توحيد فجمع لذلك عشرة نفر منهم ثمانية من كبار الدولة واثان من نوابغ المخاضمين وعهد إليهم بالرجوع إلى قانون سلا (Salla) وقانون اركيديوس وقانون تيودسيانوس . كما عهد إليهم النظر في الكتب القديمة والتفكير أيضاً في المسائل الواقعة . فبدأوا العمل عام ٥٢٩ واستمروا فيه ثلاث سنين حتى أتموه - راجع مختصر من كتاب the cansa bidge -

medieval History V.II P.103

(٢) انظر كتاب من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٧٢ .

ويقول عبد اللطيف حمزة « والذي أميل إليه أن هذه الفكرة - إن لم تكن من وضع ابن المقفع - فهي أثر من آثار ثقافته الفارسية قبل كل شيء ، ثم لا يمنع ذلك من أن يكون الفرس أنفسهم قد عرفوا هذه الفكرة عينها قبل ذلك عن الرومان في أثناء الصلات الكبيرة والحروب العديدة التي وقعت بين الدولتين وكانت منها الحرب التي شنّها عاهل الفرس وهو الملك « قباد »^(١) على قيصر الروم - وهو هنا الإمبراطور « جستينان »^(٢) .

وسواء أكانت الفكرة يونانية أم فارسية فإن ابن المقفع بعد عرضها أحدثت ثورة عند الفقهاء وأهل الحديث كان لها الأثر البين فيمن اشتغلوا بعد ذلك بالفقه وعلم الكلام من رجال القضاء .

وأما الشعب - عند ابن المقفع - فليس أقل حاجة إلى الإصلاح من الجبّاء والجند والقضاة وكيف تصلح أمور الشعب إذا لم تقم على إصلاحها الحكومة ؟ وهل تصلح الرعية إلا بصلاح الراعي ؟ إن حاجة الناس إلى تقويم آدابهم وعاداتهم أشد من حاجتهم إلى طعامهم وشرابهم . وإنهم لا يصلحون بأنفسهم حتى يكون عليهم من الخاصة رقباء ومؤدبون . « وخطر هذا جسيم في أمرين أحدهما برجوع أهل الفساد إلى الإصلاح ، وأهل الفرقة إلى الألفة ، والامر

(١) اسم حمله اثنان من ملوك الفرس الساسانيين (٤٨٨ - ٥٣١) حاول الاستيلاء على سورية وبلاد الروم تغلب سنة وقاته على القائد البيزنطي بليبير .
(٢) انظر كتاب ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة صفحة ١٥٧ وما بعدها .

الأخر لا يتحرك متحرك في أمر من الأمور العامة إلا وعين ناصحة
 ترمقه ولا يهتس هاتس إلا وأذن خفيقة تصيح نخوه ، وكان كما رأينا
 وربما كانت هذه الفكرة تدل على اتصال ابن المقفع بثقافة
 اليونان : « إذ كان ذلك العمل معروفا شائعاً عند اليونان - وهو
 المحاسب - وهو من تعهد إليه الدولة مراقبة العامة في أدينتهم
 ومجالسهم وأسواقهم » (٥).

كان ابن المقفع يريد أن يأخذ الشعب بهذا الضرب من التأديب
 والتهذيب فكان يوجه دعوته إلى الحكومة حتى تقدم من ناحيتها
 بهذا ، وكان فوق ذلك كله يوجه الخطاب للشعب نفسه داعياً أفراد
 المجتمع عري العلاقة بين بعضهم البعض ، وإليك قوله في كتابه
 « الأدب الكبير » : « احفظ قول الحكيم الذي قال : لتكون غايتك
 فيما بينك وبين عدول العدل ، وفيما بينك وبين صديقك الرضا ،
 فإن العدو خصم تقرعه بالحجة وتغلبه بالحكام . والصديق ليس
 بينك وبينه قاض ، فإنما حكمه رضاه » .

وبعد هذا كله فما أثر هذه الدعوة الحارة إلى الإصلاح
 الاجتماعي الذي ابتدأه ابن المقفع ؟ وما غرضه بكل اجتهاد فيها من
 التفخاخ أو الفضول ؟ ذلك ما نتمسك عليه أن نتجسس الإجابة عنه في
 سيرة هؤلاء جميعاً بعد وفاة الرجل وقائه ، وفي تطور الحركات
 الفكرية والاجتماعية منذ عهد الدولة بهذه الرسالة القيمة :

تمت طبعته في سنة ١٣٧١ هـ ، وروى عنه في سنة ١٣٧١ هـ (٦)

(٥) انظر في كتاب من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٧٣ .

فالخليفة المنصور يظهر أنه لم ترق في عينه هذه الدعوة الجريئة إلى الإصلاح ، فلم يرحب بها بل يظهر أنه غضب من أجلها ، أو يظهر أنه اعتبرها برنامج ثورة على الحكومة ربما استفحل خطرها بعد ، ولعل هذه الدعوة التي بلغت هذا الحد من العنف والصراحة كانت من الأسباب التي قتلت الرجل ومن يدري - ماذا كان يصيب الدولة من البلاء - إذا كان المنصور قد تهاون في أمر هذه الثورة التي قام بها الكاتب الداهية ! وهل فعل « روسو »^(١) و « فولتير »^(٢) « وديدرو »^(٣) في فرنسا أكثر من أنهم وضعوا أيديهم على مواطن الداء وبالغوا للفرنسيين في تصوير البلاء ، حتى أحس الناس يومئذ أنهم مظلومون ؟ ثم كان إحساسهم بالظلم هو وحده السبب الحقيقي في قيام الثورة الفرنسية ! الواقع أن المنصور كان محقاً في خوفه من ابن المقفّع . ولو لم يكن المنصور رجلاً عظيم الدهاء بعيد الرأي قوي الشكيمة ، لكان لهذه الدعوة شأن غير هذا

(١) هوجان جاك روسو (١٧١٢ - ١٧٧٨) كاتب فرنسي ولد في جنيف له تآليف اجتماعية وفلسفية من العقد الاجتماعي « أميل » « واعترفات » .

(٢) هو فرانسوا ماري ارواي فولتير (١٦٩٤ - ١٧٧٨) ولد في باريس مؤلف فرنسي أقام في سويسرا تزعم حركة الفلسفة المادية ، ونقد السلطة وكتب في الشعر والتاريخ والمسرح والفلسفة مؤلفاته المحاولات الفلسفية « كنديد » « زئير » « عماد » « شارل الثاني عشر » .

(٣) ديدرو فيلسوف فرنسي (١٧١٣ - ١٧٨٤) نشر مبادئ الإلحاد والفلسفة العقلانية أسس الانسيكلوبديا وأشرف على إصدارها .

الشأن . ألا ترى أنه من حسن حظ رومو وثولتير وكتاب الثورة الفرنسية أن ظهرت كتاباتهم في عهد ملك قليل الشر مؤثر للدعة والهدوء ، وهو الملك لويس السادس عشر^(١) ويقول المؤرخون إن عصر هذا الملك كان عصر رخاء على الفلاح وأن الظلم لم يبلغ عهده شيئاً بالقياس إلى ما بلغه في عهد سلفه من ملوك فرنسا^(٢) .

ومهما يكن من أمر فإن غرض ابن المقفع من تأليف هذه الرسالة إنما كان يريد دعوة الحكام والولاة إلى إصلاح أنفسهم وبسط العدل على مساحة ممالكهم . ولكن هذه الدعوة باءت بالفشل وخاصة من جانب الولاة والخلفاء ، وهل يتوقع أن يتبع المنصور نصيحة مولى كان متهماً بالأمس في دينه ، وهل يتوقع من المنصور بأن يأخذ مشورة هذا المولى الزنديق ، ويترك العمل بمشورة الفقهاء وأهل الحديث . وإذا كان الفشل نصيب ناحية من نواحي الإصلاح الذي كان ينشده ابن المقفع لعداوة المنصور الشخصية له التي حالت دون إظهار دعوته الجريئة إلى الإصلاح ، إلا أن تقادم العهد والزمن وتعاقب الخلفاء ، قد بدأ هؤلاء يتدبرون أقواله ويتحمسون لأرائه . وهنا يشير إلى ذلك ما قاله الأستاذ أحمد أمين : « ولسنا نجزم

(١) ولد في فرساي (١٧٥٤) تزوج ماري انطوانيت النمساوية ، اتهم بعد محاولة هربه ٢٠ حزيران (١٧٩١) بالتعامل مع الأجنبي وبالحيانة . قتل ٢١ كانون الثاني (١٧٩٣) .

(٢) انظر كتاب ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة صفحة (١٦٥) وما قبلها .

أن هذه المحاولة نشأت عن فريقين المتضمين، فقد يكون بلورا
 لفكرة عظمى بن شلبي العزيز بالله في جمع الحديث، فقد كان يرى هذا
 الرأي، فطلب من الشوامي رؤي بجمع الحديث وجعله كتابا، وقد
 تكون فكرة المنصور، فالوفيد نتيجة العاقلين معا، ففكره جمع
 الحديث التي أرتاها عظمى بن شلبي العزيز وفكره تقيين الفتواين التي
 أرتاها ابن المقفع وهو الذي نميل إليه (٣).

قالوا فكانت الشورى مقبولة وأوجه التقصير في النظم القائمة التي
 أطلعها ابن المقفع جعلت الكمال من الخلفاء والولاة يحدون النظر
 في هذه النظم، لم يتكلم في كتابي الفتواين أحد الخلفاء رؤيدا
 رؤيدا، فصار من شؤني الولاة والقضاة والمجدد وعمال الخراج
 وقاموا على رأي الدين المتشدد حتى أصبحت وظيفة المشيب نال
 من الوظائف الضرورية في الدولة، وأصبحت لا تعمل في شأنها من
 وظيفة الوزير أو صاحب المظالم، أو صاحب البريد، أو
 غيرهم من الوظائف، فصاروا يعملون في كل شيء.

- (١) على علم من عبد العزيز بن علي بن مقرن (٩٩٩ هـ) في شهر ربيع الأول سنة ١٠٥٥ هـ، الشهر بقواد ولسكة في السنة.
- (٢) أنصرني إلى الإصلاح الداخلي والليالي، قال له شوقي في ١٠ ربيع الأول سنة ١٠٥٥ هـ.
- (٣) ذلك بكتب مالك بن أنس فرفض الأخير ذلك. وكذلك أراد الرشيد أن يفعل
 في الكعبة، فغفل الناس عن ما فيه ورغبوا بغيرها ففكره
 الرشيد في ١٠ ربيع الأول سنة ١٠٥٥ هـ، في ١٠ ربيع الأول سنة ١٠٥٥ هـ.
- (٤) انظر ضحى الإسلام لأحمد أمين ١ / ٢١٠ وما بعدها صلة القاهرة ١٩٥٤.
- (٥) انظر ابن المقفع لأبي الطيب حمزة ١٩٦٨ هـ.

وهكذا فإن النجاح البطيء كان نصيب النواحي الأخرى من نواحي الإصلاح الذي أراده ابن المقفع، فكان الخلفاء يرون أنفسهم مضطرين إلى العمل بأقواله وإن لم يصحروا - أو يشعروا - بأنهم يصبرون في أعمالهم عن رأيه ومشورته ؟

الخدايتامه :

سالم يكتف: ابن المقفع نقل تلك السلسلة جميعها حتى نقل كتاباً آخر في التاريخ الفرتق (وكان من أعظم الكتب التي فخر بها قديماً - وكلمة «خدايتامه» كانت في الأصل «البهلوي» - «خودايتاميك» - فأنقلت إلينا بحرفها في الفارسية الحديثة) وعندها نقل الكتاب إلى اللغة العربية تسمى «أسرار الملوك» أو «أسرار الملوك» الفرس. ولا لنا أن يبدو أن لفظة «خدايتامه» كان في الأصل «لأمة» وقد وجد أن «أي» رسالة الملوك» إذ يحتوي الكتاب على الحوادث وتلخيص حلوه القصرين . والمظهر لهذه المجموعة «كبرى» من الأساطير وقصة «أشهر» في هذه الأساطير الساردين (الغرافين) أو الحقيقيين - واشتد هذا المزيج حتى كان مثل المذهب والفكر الذي أطلعوا على هذا الكتاب من أنما «لرستم» وغيره من الأشخاص الخرافيين وجوداً حقيقياً، كيولوجيا «سابور» وغيره من الأشخاص الحقيقيين» (٢).

(١) كما هو الحال في كل اسم غنوم بالهاء مثل «تشنه» أي عطشان وكذا «كرسين» أي جائع .

(٢) انظر مقدمة الأستاذ تولدك لتاريخ الطبري .

Noldke's Introduction to tabary as translated by Nariman Bombay 1918 (١٩١٨) .

يبدأ الكتاب بذكر أحوال ومسيرة الملك : « كيومرث مؤسس الأسرة البشداقية حتى عهد الملك خسرو برويز الساساني »^(١) ولكن متى كتب هذا التاريخ ؟ ومن هو الذي أتمه بعد ذلك - يقول الأستاذ نولدكه « إن الخداينامه إنما كتبت في عهد كسرى الأول وهو كسرى أنوشروان ، ولكنها لم تتم إلا في عهد يزدجرد الثالث ، وإن الذي أتمها هو دهقان من دهاقين الفرس يعرف باسم « دانشوار » - Danishwar ولست واثقاً كل الثقة من هذا الاسم . فربما كان نعتاً معناه عالم أو رجل ذو معرفة . ومن اليسير على من يقرأون « الشهنامة » أن يأخذوا من كلامهم الفردوسي في بعضها أنه إنما كان يسمى بهذا الاسم كل دهقان من دهاقين الفرس يكون من عمله جمع القصص التي تنسب إلى ملوكهم »^(٢) .

ويؤخذ من عبارات الأستاذ نولدكه أن الخداينامه نفسها كانت من المصادر التي اعتمدت عليها قصة الفرس وهي الشاهنامه للفردوسي وإن كان جميع الباحثين يوشكون أن يجمعوا على أن الترجمة العربية لأبن المقفع لم تكن أحد المصادر التي اعتمد عليها الشاعر الفارسي »^(٣) .

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني (١٧٤) دار القومية للطباعة والنشر د . ت .

(٢) انظر مقدمة الأستاذ نولدكه لتاريخ الطبري .

. Noldeké's Introduction to tabary as translated by Nariman Bombay 1918 .

(٣) انظر كتاب عبد الله ابن المقفع لعبد اللطيف حمزة (٢٥٦) .

وفي تاريخ تأليف الكتاب وقع بين سنوات (١١ / ١٥ هـ)
ويؤيد ذلك ما جاء في مقدمة الشاهنامه الفارسية المعروفة بمقدمة
السلطان حسين بايسنقر^(١) « بأن الملك الساساني يزدجرد الثالث
(١٠ / ٣١ هـ) أمر أحد الدهاقين النجباء « ويدعى دانشوار »
بتدوين تاريخ كامل لملوك الفرس فقام بتأليفه معتمداً في ذلك على
النسخ القديمة التي كانت مودعة في خزائن الملك كسرى أنو
شروان وكان هذا الكتاب مصدراً أساسياً لجميع سير الملوك التي
ألفت باللغة العربية في العصر الإسلامي^(٢) .

- وأول من قام بترجمة هذا الكتاب هو عبد الله بن المقفع ،
ولكنه ذهب مع الأسف أدراج الرياح وباد مع ما باد من الآثار
الفارسية القديمة .

ويقول المستشرق الألماني نولدكه : « إن ابن المقفع لم ينحرف
عن أصل الكتاب ولم يحوره ، وإنما لا يستبعد أن يكون الكاتب قد
حور بعض المضامين التي لم تكن تلائم البيئة الإسلامية ، فكان
يحذف حيناً ويزيد حيناً آخر ولكن دون أن ينحرف عن
الموضوع » . وتؤيد ذلك مقارنة بعض نصوص كتاب ابن المقفع

(١) وهومن أحفاد تيمورلنك «الأعرج» المعروف بـ «كوركمان» (م / ٨٣٨) : وله
مقدمة على ديوان شاهنامه للفردوسي ، واشتهرت هذه المقدمة التي كتبت بأمره
بمقدمة بايسنقر .

(٢) نقلاً عن حملة كاوة الفارسية « السنة الخامسة العدد (١٦) ربيع الأول عام
(١٣٣٩) هـ طبعة برلين » .

بغيرها من المصادر التي ترجمها الآخرون عن أحوال وسير الملوك
 الفرس مباشرة مثل خديناميه الذي كان مصدراً للشاهناميه
 الفارسيه (١)

كما يؤخذ من عبارات الألفاظ قوله: أن ابن المقفع كثر ما
 يتألف من الفرس مشتغل بمصالح تواترهم، فلهذا لم يمتنع على هذا
 التراث مع إدراكنا أننا نحتاجه إلى التوثيق الإسلامية. وقد عثر الباحثون
 على أفضى وأقطع من كتاب سمر الملوك لابن المقفع (مبشرة في
 كتب المؤرخين القدامى مثلاً).

«عشرك الأختوار» لابن قتيبة فيقول: وقيل لي في كتابه سير
 العجم أن فيروز بن بزدجود بن بهرام أمير ملك من ملوك سجود
 خراسان لغزو «خشنوار» ملك الهياطلة بلغ قلما انتهى إلى بلادنا
 اشتد رعب اخشنوار منه وجذره له (٢)

وقد رأينا أيضاً كتاب سبلد بن البطريق خليفة النصارى في الإسكندرية
 المعروف بـ «أوتيكليس» فقد جاء في هذا الكتاب قصة
 «فيروز بن بزدجود بن بهرام» التي ذكرها ابن قتيبة أيضاً ولكن مع
 شيء من التلخيص (٣)

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفران الخراساني صفحة (١٧٥) الدار
 القومية د. ت.

(٢) انظر كتاب عرب الأخبار ابن قتيبة ١٩٧ طبعه دار الكتب العلمية د. ت.
 (٣) انظر كتاب ابن المقفع لعباس أقبال صفحة ٣٥ طبعه برلين «الفارسية» د. ت.

وقد أدخل ابن المقفع هذا الكتاب مظهرًا جديدًا من مظاهر الحياة الفارسية في المجتمع العربي وخاصة ما يختص بأداب الملوك والأشراف مما أدى إلى تطوير النظام الاجتماعي في العصر العباسي وقلد اصطفي بلاط الخلفاء العباسيين بطابع النظام الفارسي حيث أخذوا يقلدون الملوك الإيرانيين في آدابهم وعاداتهم كما كان لهذا الكتاب أثر عميق في الأدب العربي إذ أخذ الشعراء يذكرون القصص والأساطير الفارسية في أشعارهم فنرى أبا النؤيس مثلاً يتحدث في قصيدته المشهورة التي هجا بها قبيلة «نزار» عن قصة ضحاك وفريدون وأولها

ليسيت بدار عفيت وغيرها ضريان من قطرها حاصيها^(١)
ونقول النعماني: وقد أطلال البرشيد نجيبه بسبب هذه القصيدة^(٢) وقد أشيد أبو تمام أيضاً إلى هذه القصيدة في مدح الأفشين أولها

بدا لجلاد البذ فهو دفين ما إن به إلا الترحول قلبي^(٣)
ولم تفضل لمدة طويلة على ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية

مخبر

(١) انظر ديوان أبي نواس صفحة (١٥٥) تحقيق عميرة وأصفه طبعة القاهرة

(١٨٩٨).

(٢) انظر كتاب التنبه والإشراف للمسعودي صفحة ٧٦ طبعة القاهرة (١٩٣٨).

(٣) انظر ديوان أبي تمام صفحة ٢٤٩ بتحقيق عبد الحميد يونس طبعة القاهرة.

(١٩٤٢).

حتى انتشر في جميع الاقطار الإسلامية إلى أقصى بلاد المغرب ومصر والحجاز ، وأخذ العرب يتناقلون قصص الفرس القدماء ، ولولا ترجمة ابن المقفع لهذا الكتاب لما علمنا كثيراً عن حياة الفرس القدامى وسير ملوكهم ، ومن ثم يتبين لنا مدى أهمية هذه الترجمة كمصدر تاريخي ، وقد حقق المستشرق الألماني « نولدكه » مسائل كثيرة من كتاب « خداينامه » عندما قام بترجمة فصل تاريخ الساسانيين من كتاب تاريخ الطبري ، وسماه كتاب « تاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين » وكتب له مقدمة علمية يتحدث فيها عن كتاب « خداينامه » بالتفصيل ^(١) .

كما قام الروسي « بارون روزن » بتحقيقات علمية حول كتاب « خداينامه » وقد أكمل المستشرق « زوتنبرج » تحقيقات هذين المستشرقين ، وكتب مقدمة جامعة لترجمة فرنسية لكتاب « غرر أخبار ملوك الفرس » وتحدث فيها عن كتاب « خداينامه » وشرح موضوعات كثيرة منه .

« وقد ضاعت ترجمة ابن المقفع لكتاب خداينامه كما لم يبق أثر من أصل الكتاب الفهلوي نفسه ، إلا مقتطفات وردت في كتب المتأخرين وخاصة كتاب « حمزة الأصفهاني » ويرجع تاريخ تأليفه إلى عام ٣٥٠ هـ » ^(٢) .

(١) انظر مقال للأستاذ تقي زاده في مجلة كاوه الفارسية عدد ١١ العام الخامس .

. Noldke's Introduction to tabary as translated by Nariman Bombay 1918

(٢) انظر مقدمة تاريخ الطبري للأستاذ نولدكه الطبعة الأوروبية .

ويرى نولدكه أن كتاب «سير الملوك» لابن المقفع هو ترجمة الأصل وأنه يعتبر الأساس لجميع كتب سير الملوك الفرس التي تعرض لها «حمزة الأصفهاني» في كتابه «تاريخ سني ملوك الأرض» ويعقب كرستن مسن على رأي نولدكه بقوله : «إن نظرية نولدكه هذه قد عُدلت بعد أن درس العالم الروسي «بارون روزن» هذا الموضوع من جديد ، وكتب بحثاً بالروسية عن التراجم العربية لكتاب خدائنامة عام (١٨٩٥) » (١) .

وكان لكتاب خدائنامة - سير ملوك الفرس - أثر كبير في البيئة العربية إذ قام كثير من الأدباء والمترجمين بتهديب ونقل هذا الكتاب إلى العربية مرة أخرى بعد ابن المقفع ، ويقول ذلك أبو عبد الله حمزة الأصفهاني : «وملوك الفرس على تطاول أيام ملكهم مع اجتماع كلمتهم كان يلزم طبقاتهم الأربع أربعة أسماء : الفيشدادية (٢) والكيانية والإشغانية (٣) والساسانية ، وتواريخهم كلها مدخولة غير صحيحة ، لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان ، ومن خط متشابه رقوم الأعداد، إلى خط متشابه رقوم

(١) راجع كتاب «إيران في عهد الساسانيين» لكريستين مسن صفحة (٤٧) ترجمة الدكتور مجيى الخشاب .

(٢) الفيشدادية : معرب الفيشدادية وهي مركبة من كلمة «يش» بمعنى الامام والسابقة ، ومن كلمة (داد) بمعنى العدل .

(٣) الإشغانية معرب الأشكانية .

منه انما هذا ملحق بالجزء الاول من تاريخ بلخ (١٧٢٠) ولم يذكر اسم
 ويقول العلامة القزويني (١) ومن الغريب انه لم يذكر اسم
 موسى بن عيسى الكسروي في كتاب « تاريخ حمزة الاصفهاني »
 فلو كان في نسخة قديمة من تلك النسخة لكانت في كتابه
 وذلك بالرغم من ان المؤلف يصرح بنفسه انه جمع معاني نسخ من
 كتاب سير ملوك الفرس فاين اذن النسخة الثامنة ؟ ومن هنا يغلب

الظن على ان نسخة موسى بن عيسى الكسروي هي التي قبلت
 سقطت حين طبع هذا الكتاب ويؤيد ذلك ان صاحب كتاب
 « مجمل التاريخ والقصص » حينما ترجم في كتابه الفقرة التي
 نقلها عن حمزة الاصفهاني يذكر اسم هذه النسخة من ضمن
 النسخ الاخرى للكتاب ناقلاً عنه (١) وورد اسم كتاب آخر لسير
 الملوك الفرس تأليف بهرام بن مهران الاصفهاني (٢) وقد سميت
 هذه الترجمة كلها « سير الملوك ».

وقد قام المؤرخون المتأخرون من الفرس بتأليف كتب في سير
 ملوك الفرس ومنهم « شاهنامه » معتمدين بذلك على كتاب سير
 الملوك الفرسية فمنها نسخة كتاب شاهنامه لأبي المؤيد
 البلخي ، وجاء ذكره في كتاب « قابوس نامه » وكتاب مجمل
 التاريخ وكتاب تاريخ طبرستان ومنها كتاب شاهنامه أبي منصور
 محمد بن عبد البرزاق الطوسي (٣) وقد قام بنظم الكتاب الأخير
 الشاعر المحمدي بن أبي منصور الديلمي ولكن الموت أدرجه ولقي

- (١) انظر (بيست مقالة) ١ / ٥٧ و ٦٠ طبعة طهران ١٣٨١
 (٢) انظر الآثار الباقية لأبي الریحان البيروني صفحة ١٩ طبعة القاهرة ١٩٠٦
 (٣) كان والياً على مدينة طوس من قبل السامانيين .

مصرعه عام (٣٧٠ هـ) ولم يستطع إتمامه وجاء بعده أبو القاسم الفردوسي^(١) وأكمل عمل الدقيقي ونظم الشاهنامه وهو يعتبر الآن من أمهات الكتب الفارسية التي ظلت وحيدة دون منافس فترة طويلة من الزمن^(٢) .

التاج :

أورد ابن النديم في كتابه الفهرست اسم هذا الكتاب في موضعين أحدهما ضمن قائمة الفهلوية التي ترجمها عبد الله بن المقفع إلى العربية بعنوان « كتاب التاج في سيرة أنوشروان »^(٣) وثانيهما ضمن قائمة الكتب التي ألفها الفرس القدماء في السير والأسماء لملوكهم بعنوان « كتاب التاج وما تفاءلت به ملوكهم »^(٤) وقد أبان ابن النديم اسم مترجم الكتاب في الموضع الأول وهو ابن المقفع ولكنه لم يشر إلى مترجم الكتاب في الموضع الثاني ، وقد نسب الأستاذ ملك الشعراء بها - إلى ابن المقفع أيضاً دون أن يبرر وجهة نظره بالأدلة^(٥) . ولعله يرى أنهما كتاب واحد ، ولا نستطيع

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ ولادته والقول المشهور أنه ولد عام (٣٢٠ هـ) .

(٢) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني صفحة ١٧٩ طبعة الدار القومية د . ت .

(٣) انظر الفهرست لابن النديم صفحة ١١٨ .

(٤) المصدر السابق صفحة ٣٠٥ .

(٥) انظر كتاب سبك شناسي لملك الشعراء بهار ١/١٥٦ .

ان ندلي برأي قاطع في هذا المجال بل نقف منه موقف الحيطة
والحذر الذي تؤيده الحقائق الآتية :

١ - لا نعلم أن ما ذكره ابن النديم في الفهرست من الكتابين
باسم « التاج » هل هما كتابان منفصلان مستقلان ، أم أنهما
كتاب واحد بهذا الاسم ؟ وأما ما ذكره ابن النديم من « سيرة
أنوشروان » فغير صحيح^(١) .

٢ - لا توجد نصوص منقولة عنهما في الكتب القديمة إلا ما رواه
ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار بعنوان « التاج » مما يجعلنا
نشك في كتاب التاج الذي ذكره ابن قتيبة أيضاً هل هو أحد
الكتابين اللذين ذكرهما ابن النديم ؟ أو هو كتاب ثالث
يختلف عنهما تماماً ، ويؤيد ذلك أن كتاب « التاج »
المعروف بـ « تاجنامه » في الأدب الفهلوي لم يكن اسماً
خاصاً لموضوع معين ، بل هو عنوان لطائفة من الكتب
المؤلفة لأغراض خاصة ، شأنها في ذلك شأن باقي الكتب
الفهلوية التي تدل عناوينها على أنها ألقت في موضوعات
مختلفة أمثال « آئين نامه » و « اندرزنامه » . و « پندنامه » .

٣ - لا يوجد في جميع الفقرات التي نقلها ابن قتيبة عن كتاب
« التاج » موضع واحد ورد فيه اسم كسرى أنوشروان حتى
يغلب الظن على أنها مأخوذة من كتاب التاج في سيرة أنو

(١) انظر كتاب إيران في عهد الساسانيين لكريستين مسن صفحة ٥٠ ترجمة الدكتور
يحيى خشاب .

التشويق، وكما فلا يوجد فيها شيء يتعلق بالفن أو الشكل والتنبؤ حتى يمرر لنا إمكان تسميتها إلى الكتاب الثاني، الثالث والرابع. ولما تعاقبت به منظوماتهم، فنحن المرحون لأن أن يكون كتاب «التاج» الذي ورده احتجته في كتاب عيون الأخبار كتاباً ثالثاً من سلسلة كتبنا، ولما احتجنا في الثاني «الفن» في الأدب الساتراني (١) والتي لم تكن سابقاً في مواضع متعددة وإنما كانت تشمل كل ما يخص سيرة الملوك الساترانيين أو ما نعت إلى نظام الدولة وشؤونها ومراعاتها بصفة.

بسم الله الرحمن الرحيم
آئين نامه (٢)

روى آئين المقنع كتاب آئين نامه، وقد أجمعى طبع الأسف ولم يبق له آئين إلا بعض المقطوعات التي يوردها المؤرخون القندامي في كتبهم كآئين قتيبة في عيون الأخبار (٣) والمسنودي في كتاب التنبية والإشراف (٤) والتهاليف في كتابه غرر أخبار الملوك الفرس.

بسم الله الرحمن الرحيم
آئين نامه (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

(١) انظر مقالة الدكتور محمد محمدني في مجلة الدراسات الأدبية العدد الأول من العام الثالث عشرة ١٣٩٤ هـ وعنوان البحث «كتاب التاج» للبحراني، وانظر كذلك إيران في عهد الساسانيين لكريستين الحسن، ص ٥٥ ترجمة الدكتور يحيى الجشابي.

(٢) أن لفظ آئين في الفهلوية بمعنى الرسوم والطريقة والسيرة وهو يرادف في العربية لفظ الآداب.

(٣) انظر عيون الأخبار لابن قتيبة ١/ ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢

وسيرهم^(١) كما ورد ذكر الكتاب في كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) .

وكان لكلمة « آئين » عند الفرس مفهوم واسع يطلق على طائفة من الكتب تتضمن تعليم فنون الحرب والرماية والصولي وغيرها من الفنون المتداولة في ذلك العصر ، وقد كتب المستشرق الروسي « بارون روزن » في المجلة الملكية الأكاديمية علوم بطرسبرج مقالاً قيماً بعنوان « آئين نامه »^(٣) وكتب عن هذا الكتاب أيضاً المستشرق الدانمركي كرستين سن في كتابه : « إيران في عهد الساسانيين »^(٤) وكتب بحث آخر قيّم أيضاً حول هذا الكتاب بقلم الدكتور محمد محمدي وقد نشرته مجلة الدراسات الأدبية بعنوان « آئين نامه والمقاطع الباقية منها في المصادر الأدبية »^(٥) .

يستفاد من كلام كرستين سن أنه يرى أن « آئين نامه » الذي ترجمه ابن المقفع هو نفس كتاب « الرسوم » الذي أورد ذكره المسعودي في كتاب « التنبية والإشراف » ووصفه بأنه عظيم في

(١) انظر غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي صفحة ١٤ طبعة باريس .

(٢) انظر الفهرست لابن النديم صفحة (١١٨) (٣٠٥) .

(٣) انظر المجلة الملكية العدد ٨ صفحة ٧٧٥ / ٧٧٧ .

(٤) انظر كتاب إيران في عهد الساسانيين لكريستين سن صفحة ٤٩ ترجمة د. يحيى الخشاب .

(٥) انظر مجلة الدراسات الأدبية العدد الثاني عام (١٩٥٩) صفحة ١٥ و٤١ بيروت .

الألوف من الأوراق^(١) . ويقول في موضع آخر من الكتاب « وللفرس كتاب يقال له : « كهنامه - كاهنامه »^(٢) وفيه مراتب مملكة فارس وأنها ستمائة مرتبة على حسب ترتيبهم لها . وهذا الكتاب من جملة آئين نامه وتفسير آئين نامه كتاب الرسوم وهو عظيم في الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملاً إلا عند المؤابذة وغيرهم من ذوي الرئاسات »^(٣) .

وقد استنبط الدكتور محمد محمدي من قول المسعودي هذا أن ابن المقفع لم ينقل جميع أجزاء الكتاب كاملة فيقول : « والراجع أن ما نقله ابن المقفع لم يكن شاملاً لكل أجزاء الكتاب بكامله ، وإن كان أطلق عليه اسم « آئين نامه » لأن قول المسعودي : إن مجموع الكتاب لا يكاد يوجد إلا عند المؤابذة » يوحي بأنه كانت لا تزال في حوزة المؤابذة في زمن المسعودي أقسام من الكتاب لم تنقل إلى العربية ، ويمكن تفسير ذلك بأن الكتاب حيث كان مشتملاً على أقسام غير ملائمة للبيئة الإسلامية أو مطالب لم تكن موضع اهتمام المسلمين فلذلك لم يهتم الناقلون بترجمتها »^(٤) .

(١) انظر كتاب إيران في عهد الساسانيين لكريستين مسن صفحة ٩ ترجمة الدكتور يحيى الخشاب .

(٢) كلمة إيرانية لها معان متعددة منها : المحل ، والمرتبة ، وعرش الملك .

(٣) انظر التنبيه والإشراف للمسعودي ١٠٤ .

(٤) راجع مقالة الدكتور محمد محمدي في مجلة الدراسات الأدبية العدد الثاني ١٩٥٩ بيروت .

البنكش والسكيران :

نسب المسعودي كتابين آخرين في تاريخ الفرس إلى ابن المقفّع أحدهما « البنكش والثاني السكيران » يقول : « ولا سبديار في الشرق حروب كثيرة مع أصناف من الأمم وما كان من أفعال اسبديار وما وصفناه فمذكور في الكتاب المعروف بكتاب « البنكش » نقله ابن المقفّع في اللسان العربي »^(١)

ويقول في موضع آخر من نفس الكتاب في معرض الحديث عن غلبة « ذو » على « افراسياب » وكيفية قتله وحروبه وما كان يهز الفرس والترك من الحروب والغارات وما كان من قتل « سياوخش » وخبر « رستم دستان » : فهذا كله موجود مشروح في الكتاب المترجم المعروف بكتاب السكيران »^(٢).

وقد علق المستشرق الفرنسي « بارنيه دي مينار » في تحقيقه لكتاب « مروج الذهب » على ذلك بقوله : « إنا لا نعلم حتى اليوم شيئاً عن هذا الكتاب بالتفصيل ولم نسمع بهذا الاسم اللهم إلا أن يقال : إنه يجوز أن يكون هناك صلة بين هذا الاسم وكلمة « النسكين » وجاء في بعض النسخ اسم الكتاب « كيكلين » ولعله محرف عن « النسكين » ويزعم المستشرق « بلوشه » أن هذين

(١) انظر مروج الذهب للمسعودي ٢ / ٤٤ طبعة باريس (١٨٦١) م تحقيق بارنيه

دي مينار .

(٢) المصدر السابق صفحة (١١٨) .

الاسمين « البنكش والنسكين » علما أن لكتاب واحد ، وزعم كذلك
 إنهما تحريف لكلمة « البندهش » ويقول الأستاذ عباس إقبال :
 « ويدولنا أن هذا الحدس الذي ذهب إليه « بلوشه » له نصيب من
 الصحة إذ إن الوصف الذي ذكره المسعودي للكتاب يكاد يتفق
 تماماً مع متن النسخة البهلوية لكتاب « البندهش » ثم إننا نجد في
 تاريخ سيستان الذي يرجع إلى تأليف الجزء الأول منه إلى ما بين
 سنوات (٣٩٠ - ٤٠٠ هـ) وهو كتاب مؤلف باللغة الفارسية - ذكراً
 لهذا الكتاب وجاء اسمه « البندهش » بل أن مؤلف الكتاب نقل في
 تاريخه فصلاً من هذا الكتاب الذي جاء اسمه : « ابن دهشتي
 كبركان » والأقرب إلى اليقين أن اسمه الصحيح هكذا « ابن دهش
 كبركان » وإنما الخطأ والتحريف جاءا من النسخ ، وأن مؤلف
 تاريخ سيستان إما أنه كانت في يده نسخة عربية من هذا الكتاب
 وإما وقف على نصوص من هذا الكتاب في مصادر تاريخية » (١) .

ويزعم الأستاذ كريستين سن أن كلمة « السكيران » أقرب إلى
 الصواب من غيرها . إذ إن هذه الكلمة قد جاءت في اللغة البهلوية
 « سكران » بفتح الأول والثالث أي رؤساء سكر وكلمة سكر مخففة
 سگسي منسوبة إلى سگستان وهي مقاطعة تقع في شرقي إيران
 ومعربها سگستان وتسمى اليوم سيستان ويرى الأستاذ ذبيح الله صفا
 أن « كلمة السكيران محرفة عن كلمة سگسين أو سگزين أو

(١) انظر كتاب ابن المقفع لعباس إقبال صفحة ٥٩ .

سكسيكين» نسبة إلى الشعب السجستاني ، ويؤيد هذا الاحتمال صلة موضوع الكتاب بأخبار السجستان وقصة رستم وقتل اسفنديار بيد رستم ، ثم قتل زستم بيد بهمن بن اسفنديار ، وغير ذلك من أساطير الفرس وأخبارهم التي وقعت أحداثها في هذه المنطقة^(١) .

(١) انظر حماسة سرائي درايران ، للدكتور ذبيح الله صفا صفحة ٤٣ طبعة طهران .

الفصل الرابع

النثر الفني في الأدب العربي :

يذهب أدباء العربية المتقدمون والكثير من الأدباء المعاصرون إلى أن العرب عرفوا منذ عصر الجاهلية النثر الفني الذي يحتفل به صاحبه ، ويصوغه صياغة بليغة فنية رائعة مؤثرة للتعبير عن أنبل المعاني وأسمى الأفكار بأسلوب مهذب منقح تظهر فيه آثار الفن وملامح الموهبة ويقولون : إن العرب منذ ذلك العهد كانوا يرسمون صوراً كثيرة من النثر الفني ، وكانوا يجيدون هذا الفن الأدبي إجادة بالغة ، ومن مظاهر هذا النثر الفني ما بقي من صوره الماثورة عن الجاهلين من خطب ووصايا ونصائح وأمثال وحكم .

لكن يذهب المستشرقون إلى أن النثر لا تعرفه الجاهلية ، ولم يشهده عصر صدر الإسلام ، وإنما نشأ على يد ابن المقفع في صدر العصر العباسي الأول ومن ذهب إلى ذلك المستشرق الفرنسي « مارسيه »^(١) والمستشرق الإنجليزي « جيب » وغيرهما وقد أكد عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين نظرية أن العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام لم يعرفا النثر الفني ، ولكنه اختلف معهم في تحديد نشأة النثر الفني في الأدب العربي ، فليس ابن المقفع في رأيه هو أول من ظهر على يديه النثر الفني في الأدب

(١) انظر كتاب النثر الفني للدكتور زكي مبارك ١ / ٢٣ طبعة القاهرة .

العربي كما يرى المستشرقون ، وإنما النثر الفني عرفه الأدب العربي في أول القرن الثاني للهجرة قبل ابن المقفع على يد عبد الحميد الكاتب أستاذه سالم مولى هشام وغيرهما ، ويقول في ذلك : « إن النثر العربي الذي ليس لغة التخاطب ولا الأحاديث العادية والذي لا يعبر عن عاطفة من حيث هي عاطفة بل من حيث هي صورة عامة يظهر فيها نتيجة التفكير ، هذا النثر أثر من آثار الحياة الإسلامية الجديدة ، وهو فن دعت إليه حاجة الحياة العربية ، ولذلك يجب أن ننزع من نفوسنا أن العرب قد استعارت النثر من غيرها من الأمم »^(١) .

ولكن أدباء العربية المتقدمون يرون أن نزول القرآن الكريم - في رأيهم - في هذا المظهر الفني الرفيع والبلاغة الساحرة دليل على مذهبهم على أن العرب في الجاهلية كان لهم نثر فني ، وكانوا يجيدونه ويبلغون فيه غاية البيان والفصاحة ، وإلا فكيف يتحداهم الله عز وجل بفن من البيان لم يعرفوه ؟ ١ .

« وينفي الدكتور طه حسين التأثير الأجنبي في النثر الفني ولكنه يذهب إلى أن التأثير اليوناني أقوى من التأثير الفارسي . لأنه أثر في الفرس أولاً ولأنه كان عميق الجذور والأصول ثانياً »^(٢) .

وهنا أبو هلال العسكري في وصفه التأثير الفارسي في ثقافة

(١) انظر كتاب من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٢٨ طبعة دار المعارف بالقاهرة عام (١٩٥٧) .

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٨ طبعة دار المعارف بالقاهرة (١٩٥٧)

عبد الحميد الكاتب الذي أكد الدكتور طه حسين أنه أول من ظهر على يديه الشر الفني يقول : « إنه استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحولها إلى اللسان العربي »^(١) . ويتجه نحو ذلك الإتجاه الدكتور زكي مبارك فيقول : « إن عبد الحميد هو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية »^(٢) . بينما يرجع الدكتور طه حسين أن عبد الحميد كان شديد الاتصال والتأثر بالثقافة اليونانية ، ويستدل على ذلك بنظام الفصول في كتابة عبد الحميد . فكل رسالة من رسائله تنقسم إلى أجزاء ، ويؤدي كل جزء فكرة ومعنى ، وهو لا ينتقل من فكرة إلى أخرى إلا إذا استطاع أن يستريح ويتنفس ، وهذا النوع من التخطيط في الكلام من خصائص النثر اليوناني القديم ويستدل الدكتور كذلك بإسراف عبد الحميد في استعمال الحال ، وذلك من خصائص اللغة اليونانية ، ومن الأسباب التي يعتمد عليها اليونان في تحديد معانيهم »^(٣) .

ويقول أيضاً : « إن مدارس الأدب اليوناني كانت منبئة في الشرق كله وظلت كذلك حتى العصر العباسي ولكنها انحصرت في الأديرة »^(٤) . ويؤخذ من كلام الدكتور طه حسين أن عبد الحميد

(١) انظر كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري صفحة ٥١ وديوان المعاني للمؤلف ٨٩ / ٢ .

(٢) انظر كتاب للنثر الفني للدكتور زكي مبارك ١ / ٥٧ طبعة القاهرة .

(٣) انظر كتاب بعد حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٤٢ - ٤٥ دار المعارف القاهرة (١٩٥٧) .

(٤) المصدر السابق صفحة (٤٤)

يعتبر من الكتاب الأوائل الذين وضعوا الأسس الفنية للكتابة العربية كما يقول ابن عبد ربه في وصفه « إنه أول من فتح أكماس البلاغة وسهل طرقها » (١) .

وقد قال الدكتور زكي مبارك : « إنه - أي النثر - من صور العصر الجاهلي ، إذ جاء بلغته وتصوراته وتقاليده وتعاييره ، وهو بالرغم مما أجمع عليه المسلمون من تفرد بصفتها أدبية لم تكن معروفة في ظنهم عند العرب يعطينا صورة للنثر الجاهلي ، وإن لم يكن الحكم بأن هذه الصورة كانت مماثلة تمام المماثلة للصورة النثرية عند غير النبي من الكتاب والخطباء » (٢) .

« ونستخلص من كل ما تقدم أن النثر الفني في رأي المستشرقين وكثير من النقاد المعاصرين إن لم يكن ابن المقفع قد أنشأ في الأدب العربي قد أسهم في إرساء دعائم النثر الفني في اللغة العربية أكثر من طبخته والطبقة التي سبقت من الكتاب » (٣) .

لقد علمت مكانة ابن المقفع من النثر العربي ، بعد أن وقع عليه عبء النهوض به ، ويروى أن رجلاً سأل ابن المقفع : ما الذي مكنتك من البلاغة ؟ . قال : حفظ كلام الأصاح - ويعني به كلام الإمام علي بن أبي طالب - كما كان تشجيع الخلفاء والوزراء

(١) انظر المعقد الفريد لابن عبد ربه ٣ / ٥ طبعة القاهرة .

(٢) انظر النثر الفني للدكتور زكي مبارك صفحة ٣٣ وما بعدها .

(٣) انظر عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني صفحة (٤٤٩) دار القومية للطباعة والنشر د . ت .

وللكتاب باعاً على النهوض بالكتابة ، وداعياً إلى ارتفاع شأنها وعلو مقامها ، وسمو منزلتها ، ثم كان التنافس الشديد بين الأدباء ، وتسابقهم إلى خدمة أصحاب السلطة ورجال الدولة حافزاً قوياً على تجويدها ، والتأنق في أساليبها ، ولئن كانت الكتابة في نهاية عصر بني أمية قد صارت صناعة عتيقة لها أصولها ومناهجها وقواعدها ولربما زاد فيها سالم مولى هشام وتلميذه عبد الحميد من تهذيب وصقل وجمال وروعة تصوير ، ولكنها نهضت وازدهرت في أوائل حكم بني العباس وصارت صناعة من أشرف الصناعات وأصبحت سلماً للوصول إلى المجد والرفي والصعود إلى منصب الوزارة وغيره من أعلى المراتب في الدولة .

وقد نبغ في هذا الفن فحول وجهابذة لم يجد الدهر مثلهم في البلاغة والفصاحة ، والحدق والبراعة ، حتى بدوا فحول الشعراء في عظمة الجاه وسعة النفوذ والسلطان . والتقرب إلى السيادة والحكام ، ومن هؤلاء كاتبنا عبد الله بن المقفع .

لم يكن الكتاب يحفلون بإبداء رأي أو تحوير كلام أو ابتداع فكرة أو إخراج حديث من صورة إلى صورة ، واستنتاج نتائج واضحة من مقدمات مفهومة أو نحو ذلك ، بل قلما نجد كاتباً ألف كتاباً أو كتب رسالة في موضوع معين معتمداً في ذلك على بنات أفكاره ، وبدائع خياله وروائع معانيه بل نراه يستشهد في ثنايا كلامه بالقول المأثور عند العرب نظماً كان أو ثراً دون الإتيان بشيء جديد ترتاح إليه النفس ويسكن إليه الفكر ويطمئن له القلب^(١) .

(١) المصدر السابق (٤٥١) وما بعدها .

فلما جاء ابن المقفّع ابتدع أسلوباً جديداً في الكتابة أصبح أساساً للكتاب من بعده ، وقد آخى ابن المقفّع في طريقته بين التفكير الفارسي والبلاغة العربية وكان رائداً لمن يرغب في مزاوله هذه المهنة حتى ضرب المثل به في البلاغة والبيان على مر الزمان .

وفي معرض الحديث عن تمكن ابن المقفّع من اللغة العربية وجعلها أداة طيعة في يده يقول خليل مردم : « ولقائل أن يقول : ما بال الناس يُغلون في رفع منزلة ابن المقفّع وأكثر تأليفه ترجمة عن الفارسية ليس له منها إلا الصوغ والرصف ، وقد فاته أن الترجمة في كثير من الأحيان أشق من التأليف والمجيدون فيها قليلون جداً ، والكتب التي تترجم في عصرنا الحاضر أوضح دليل فما كان علمياً منها يتعثر بالعجمة من حيث المصطلحات وما كان أدبياً منها لم تأنس إليه نفوس القراء ، لبعده عن أساليب العربية اللهم إلا النذر اليسير فإذا قارنت هذه التراجم بترجمة ابن المقفّع ظهر لك تفوقه ونبوغه على أن له من بنات أفكاره ما يستهوي العقول ويسحر الألباب »^(١) .

خصائص أسلوب ابن المقفّع :

والخلاصة أن ما يمتاز به أسلوب ابن المقفّع من خصائص قلما تجتمع لكاتب آخر :

(١) انظر كتاب ابن المقفّع لخليل مردم صفحة ٤١ وما بعدها طبعة دمشق .

أولاً : أن ابن المقفع لم يكن يشتهد في أسلوبه بشعر العرب ولا يتمثل بأمثالهم ، ولا يروي حكمهم أو مواعظهم ولا ينقل مآثور كلامهم إلا قليلاً ولا يسمي فصحاءهم ولا يشير إلى أيامهم فهو من هذه الناحية إما ناقل عن الفارسية أو مستمد ذلك من ثقافته المزدوجة الفارسية والعربية التي كانت تسود عصره .

ثانياً : رغبته عن السجع من خصائص أسلوبه فهو لا يحرص عليه لئلا يوقعه في التعقيد ، بل يأخذ ما جاد به الخاطر عفواً ، وفي ذلك يقول عبد العظيم بن أبي الأصبح الكاتب الشاعر المصري في كتابه تحرير الحبير : « قد كان المتقدمون لا يحفلون بالسجع جملة ولا يقصدونه بته ، إلا ما أتت به الفصاحة في أثناء الكلام ، واتفق من غير قصد ولا اكتساب ، وإن كانت كلماتهم متوازنة وألفاظهم متناسبة ومعانيهم ناصعة ، وعباراتهم رائعة وفصولهم متقابلة ، وتلك طريقة الإمام علي - عليه السلام - ومن اقتضى أثره من فرسان الكلام كابن المقفع وسهل بن هارون^(١) ، وأبي عثمان الجاحظ^(٢) وغير

(١) هو سهل بن هارون توفي (٨٣٠) شاعر ونثر عربي أصله فارسي كان شعوبياً يتعصب على العرب وكان قيم بيت الحكمة في عصر المأمون . كان يعمل الأسحار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم من مؤلفاته : « ثلعة وعفرة » على مثال « كليله ودمنة » (ويزيد عليه بحسن نظمه قاله المسعودي) وله كتاب الأخوان والمسائل وتدبير الملك والسياسة ، والنمر والثعلب .

(٢) هو عمرو بن حجر الجاحظ نحو (٧٧٥ - ٨٦٨) أديب عباسي ولد وتوفي بالبصرة نسبت إليه فرقة الجاحظية وهي أحد فرق المعتزلة . من مؤلفاته الكثيرة . الحيوان في سبعة أجزاء والبيان والتبيين ، والبخلاء والتاج .

هؤلاء من الفصحاء البلغاء»^(١) .

ثالثاً : ومن خصائص أسلوبه أيضاً سهولة اللفظ فيختار ابن المقفع في تأليفه ألفاظاً سهلة جميلة واضحة لا غرابة فيها ولا تعقيد وليست مخالفة للقياس ولا نابية عن الأذواق .

رابعاً : حرصه على الإيجاز^(٢) فنرى كاتبنا شديد الحرص على عدم الإطناب مع الوفاء بالمعنى - واستيفاء المطلوب دون الإخلال بالمراد .

خامساً : الإقلال من الترادف والمتشاكل من الجمل ، ويذهب في ذلك مذهب الاقتصاد . ويحرص على أن لا يلبس المعنى ثوباً ضافياً الذبول ولا يسرف في اللفظ أو يكثر من المترادف إلا ما جاء منه إيضاحاً للمعنى بحيث لا يمكن الاستغناء عنه بصاحبه .

سادساً : تصوير الأفكار الدقيقة في القالب المنطقي حيث يلتمس العلة لكل حكم ، والسبب في كل فكرة ، يربط الأمور بأسبابها ، واستنباط النتائج من مقدماتها ، وتلك طريقة فارسية في

(١) انظر رسائل البلغاء لمحمد كرد علي صفحة ١٣ طبعة القاهرة (١٩١٣) وأيضاً وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٩٤ طبعة القاهرة وقد طبع كتاب تحرير التحبير في مطبعة شركة الإعلانات الشرقية ، ونشره الدكتور حنفي محمد شرف .

(٢) لا نقصد من ذلك أن إيجازه كإيجاز الأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل أو كإيجاز الحجاج بن يوسف . إذ إن أوصاف الكتابة وأصاليها أمر اعتباري نسبي يتفاوت ضعفه وقوة ، كما يختلف باختلاف العصور وتطور البيئة والحضارة .

أسلوب الكتابة كما يقول نائل المرصفي في مقدمة كتاب كليلة ودمنة^(١) .

ويقول محمد كرد علي في وصف أسلوب ابن المقفع : « كأن ألفاظ ابن المقفع منخولة في منخل دقيق نفى الزؤان مما يحمل ، أما التراكيب فهي موضع العجب في رصف بعضها إلى جانب بعض ، على غاية الإحكام ثم هوليس في ألفاظه بالبخيل ولا بالمسرف يعطي منها بمقدار ثم يلبس معانيه حلة قشبية ، فيجمع بين الجزالة والوضوح والإيجاز .

ومعانيه كلها ناصعة وألفاظها كلها فصيحة ، على أن اللفظ مهما سلس ويعد عن الوحشية والسوقية لا يعذب إلا بضم أجزائه بسلك واحد ، لتصح المعاني وهي سر البلاغة والفصاحة والروعة وهذا كان ظاهراً في كلام ابن المقفع إذ هو يمشي من صفاء الطبع على عرق عريق ، ويحاول أبداً نقل فكره إلى من يتلو كلامه واضحاً جلياً ، فكانه يتوخى الإفهام أولاً ، وبلاغته في كثرة إفهامه ويفتخر ببيانه من صميم القلب ، فجادت لذلك طريقتة وأسر القلوب أسلوبه ، وما خرج عن قانون الفطرة في كل ما خطه بنانه ، وقذف به جنانه ليس في كلامه مقال لعائب ، ولا في إطنابه واقتضابه مطعن لطاعن »^(٢) .

(١) انظر مقدمة كليلة ودمنة صفحة ٧ تحقيق نائل المرصفي .

(٢) انظر كتاب أمراء البيان لمحمد كرد علي ١ / ١٠٩ وما بعدها الطبعة الثانية القاهرة .

ويقول الدكتور طه حسين : «إن ابن المقفع كان عظيم الحظ من الثقافة العربية والبهلوية واليونانية» (١) .

ويقول عميد الأدب العربي في معرض الحديث عن أسلوب ابن المقفع : « عندما تقرأون كتابة ابن المقفع تجدون فيها شيئاً من الإلتواء والدوران ونحس ونحن نقرأ أن الكاتب يجد مشقة في التعبير عن المعاني التي يحسنها ونحس هذا الضعف الذي يكلف الكاتب للعربية ، نحسه لا بعقولنا فحسب بل بأذاننا ، فنجد ابن المقفع يكلف النحو العربي تكاليف ربما لم يكن النحو العربي مستعداً لأن يحتملها ، وابن المقفع مع أنه زعيم الكتاب وصاحب الآيات وواضع المثل الأعلى للكتابة ، لم يكن عظيم الحظ من الفصاحة والنحو العربي والمقارنة بينه وبين ما كتب أصحاب النحو وغيرهم تظهركم على أنه لم يكن أكثر من مستشرق يحس اللغة العربية والفارسية ويذل جهداً عظيماً فيوفق كثيراً ويخطيء أحياناً» (٢) .

ثم يبرر الدكتور هذا النقص بقوله : « وليس هذا يطعن في كفاية ابن المقفع ولا قدرته الخاصة فقد كان يكتب في أول عهد الشر الفني بالوجود ، فليس غريباً ألا يستقيم له الشر كما كان يستقيم لرجل كعبد الحميد . . . فليس على ابن المقفع حرج في أن

(١) انظر كتاب من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٤٦ طبعة القاهرة .

(٢) المصدر السابق ٣٢ وما بعدها .

تضطرب لغته وتستعصي عليه وإنما الحرج على الذين يريدون أن يتخذوا ابن المقفع مثلاً وآية للبلاغة ، دون إمعان أو روية ، وأنا أنصح لطلاب الأدب أن يحتاطوا عندما يريدون أن يتخذوا ابن المقفع أنموذجاً للتعبير والبلاغة»^(١) .

« ومن الإنصاف في القول : « إن الدكتور طه حسين قد هون من شأن بلاغة ابن المقفع وتعبيره وأدائه وأسلوبه وبيانه ، والواقع أن ابن المقفع لم يكن مستشرقاً كالمستشرقين كما يرى عميد الأدب العربي بل كان كاتباً عربياً ، وإن كان انحدر من أصل فارسي فقد نشأ في بيئة عربية بثقافتها ، وأصبحت اللغة العربية هي لغته الوحيدة في الإنتاج والكتابة ، فشتان بينه وبين المستشرق الذي تعتبر اللغة العربية لغة ثانوية له . وأما قوله : « وليس هذا يطعن في كفاية ابن المقفع ولا قدرته الخاصة . . . » فنحن مع الدكتور طه حسين في أنه لو سلمنا بوجود غموض أو التواء في بعض جمل ابن المقفع فإن هذا لا يطعن في قدرته ، وذلك أن محافظة الكتاب على مستوى ثابت أمر غير معهود في تاريخ الأدب ، ولم يسبق أن عرف به كاتب من الكتاب وهذا مما اتفق عليه الأدباء »^(٢) .

ويوازن الدكتور طه حسين بين عبد الحميد الكاتب وبين ابن المقفع ويخرج بالتأنيج الآتية :

(١) المصدر السابق صفحة ٥١ طبعة دار المعارف القاهرة .

(٢) انظر مقدمة يوسف أبو حنيفة لكتاب الأدب الصغير والكبير ورسالة الصحابة صفحة ٢٦ طبعة بيروت . د . ت .

- ١ - «إن هذين الكاتبين امتازا امتيازاً ظاهراً في هذا العصر حتى أصبحا رمزاً لهذا النثر الفني وعنواناً للكتابة الفنية» (١).
- ٢ - «لا يوجد كاتب يعدل عبد الحميد فصاحة لفظ وبلاغة معنى واستقامة أسلوب ، فهو أحسن من كتب العربية ومُرَّنها وأقدرها على أن تتناول المعاني المختلفة وتؤديها وربما كان الأستاذ المباشر للكتاب والمترسلين» (٢).
- ٣ - «ويرى أن ابن المقفع كان يكتب في أول عهد النثر الفني بالوجود فليس غريباً أن لا يستقيم له النثر ، كما كان يستقيم لرجل كعبد الحميد ، وهذا الرأي يسري أيضاً على عبد الحميد الكاتب إذا إنه أسبق زمناً من ابن المقفع بالنسبة إلى نشأة النثر الفني ، فمن الأولى ألا يستقيم له النثر ومهما كان فإننا نستطيع أن نقول في هذا المقام : إن كاتباً كابن المقفع بانتاجه الغزير في النواحي الفكرية والأدبية لا يعدله كاتب في اللغة العربية وإن كان للسابق كل الفضل وما أحسن قول بعض الباحثين : «لو عرفنا أن ابن المقفع قد قتل ولم يتجاوز الأربعين من عمره عرفنا قدر نبوغه وعرفنا أي عقل كبير كان يشغل رأسه» (٣).
- ويقول المستشرق الألماني «يوهان فك» : «إن ابن المقفع

(١) انظر كتاب من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين صفحة ٤٠ وما بعدها ، طبعة القاهرة .

(٢) المصدر السابق صفحة ٤٨ وما بعدها .

(٣) انظر كتاب عبد الله بن المكفع لمحمد غفراني الخراساني ٤٦٣ دار القومية للطباعة والنشر د. ت .

سَمَقَ^(١) في عصره مجله غير مزعزع ، وعدّ من البلغاء اللامعين في العالم العربي ، وإن اللغة، التي كتب بها ليست هي العربية القديمة ، فإنه بموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المقفّع سوية شفافة مبسطة حسب أغراضها وبدلاً من الثروة الفياضة في المادة البدوية القديمة تكتفي لغة ابن المقفّع إلى حد بعيد بالتعبيرات العامة ، وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارة مقاربة ، كما يعبر أيضاً استعماله اللغوي في دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموائم للغرض ، فكثير من صيغ الأسماء في العربية القديمة يقل عنده ، أو ينعدم تماماً وأخيراً نجد تركيبه النحوي أيضاً واضحاً شفافاً ، وهو يتجنب كذلك الجمل التعبيرية المتنوعة الدلالة وصيغ التعجب والاستغاثة ويتقاضي رص الكلام والتداخل العسير الفهم وما شاكل ذلك مما يستفيض في لغة البدوين^(٢) .

(١) السموق : العلو ، وسمق النبات أي علا وطال .

(٢) انظر كتاب العربية ليوهان فلك صفحة ٥٨ وما بعدها ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

ثم يعلق يوهان فك على ذلك بقوله : وهذا التطور في الأسلوب عند ابن المقفع دعا إليه الانتقال من الحياة البدوية إلى حضارة المدن وتغلغل غير العرب في مناطق الأدب ، وبهذا الأسلوب المهدب لا يسبب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بال للأفهام ، وتلك اللغة السهلة الواضحة التي سرعان ما احتذيت واستعملت في الأدب من المثقفين جميعاً في عالم الإسلام تراجع في ذلك المهد الطابع الوحشي للعربية القديمة بثروتها في الألفاظ والقوالب»^(١).

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني صفحة ٤٦٤ دار القومية .

الفصل الخامس

كليلة ودمنة وموقعه من التراث العالمي :

يقول ابن النديم : « وكان ممن يعمل الأسحار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم جماعة منهم : عبد الله بن المقفّع ، وسهل بن هارون وعلي بن داود وغيرهم وأما كتاب كليلة ودمنة فقد اختلف في أمره ف قيل : عملته الهند . وخبر ذلك في صدر الكتاب ، وقيل : عملته ملوك الاشكانية ونحلته الهند ، وقيل : عملته الفرس ونحلته الهند وقال قوم : إن الذي عمله بزرجمهر الحكيم « أجزاء والله أعلم »^(١) .

وقال ابن خلكان « يقال إن ابن المقفّع هو الذي وضع كتاب كليلة ودمنة ، وقيل لم يضعه ، وإنما كان باللغة الفارسية فعرّبه ، ونقله إلى العربية وإن الكلام في أول هذا الكتاب من كلامه »^(٢)

وقال أبو عبد الله محمد بن حسين بن عمر اليمني : « إن عبد الله بن المقفّع المدّعي نقل هذا الكتاب من اللغة الفارسية هو واضعها ونسبه إلى عناية الفرس بنقله تشييداً بذكرها وتنبهاً على مآثرها ويذهب أبو عبد الله هذا إلى أبعد من ذلك ويزعم أن ابن

(١) انظر كتاب الفهرست لابن النديم صفحة ٣٠٤ وما بعدها طبعة القاهرة .

(٢) انظر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٢٦٧ طبعة القاهرة .

المقفع قد أخذ معاني أشعار حكماء العرب فشرها وألف عليها الكتاب^(١) .

إن الآراء التي تقول : إن ابن المقفع هو واضع كتاب كلیلة ودمنة لم يعد لها وزن علمي اليوم بعد أن كشف المستشرق الألماني « هرزل » كتاب « بنجا ننترا » - خمسة أسفار - وهو كما قلنا أنفاً أصل الكتاب باللغة السنسكريتية الهندية فقد أصبح عبثاً ولغواً الإستناد إلى بعض المتقدمين فيما ذهبوا إليه في شأن تأليف الكتاب إذ من المؤكد أن الكتاب قد وقع في أيدي الفرس فنقلوه إلى البهلوية وأضافوا إليه قصصاً أخرى . ثم جاء ابن المقفع ونقله إلى العربية ، وكان نقله بداية عهد جديد لانتشار الكتاب في الأوساط الأدبية العالمية . وترجم الكتاب بعد ذلك إلى أكثر من خمسين لغة من اللغات الحية .

من هنا يتبين لنا أهمية الدور الذي لعبه ابن المقفع في ميدان الأدب العربي وانتشاره ، ويمكن القول بأن جهده فيه لا يقل عن الجهود التي بذلها أطباء العرب والفرس وفلاسفتهم في ميدان العلم .

طبقات الكتاب المشهورة :

أول من قام بطبع نسخة كلیلة ودمنة العربية المستشرق الفرنسي

(١) انظر كتاب مضاهاة أمثال كلیلة ودمنة صفحة (٧) تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم طبعة بيروت عام (١٩٦١) .

« سيلفستر دوساسي » في باريس عام (١٨١٦)^(١) وقدم له مقدمة باللغة الفرنسية كشف فيها عن النواحي المتعددة التاريخية والأدبية للكتاب ، ثم حقق المستشرق الإيطالي « جويدي » نسخة « دوساسي » وقارنها ببعض النسخ المخطوطة للكتاب التي عثر عليها في إيطاليا ثم كتب عليها تعليقاً علمياً أخذ فيه على دوساسي بعض آرائه وبالرغم من ذلك لم تفقد نسخة دوساسي شهرتها الدائمة ، وطبع الكتاب لأول مرة في مصر في عهد محمد علي طبعة معتمدة على نسخة دوساسي عام (١٢٤٨ هـ) ثم طبع مرة أخرى عام (١٢٤٩ هـ) وأضيف إليه باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين عام (١٢٥١ هـ) كما اعتمد خليل اليازجي في طبع كلية ودمنة في بيروت عام (١٩٠٧)^(٢) على النسخة المطبوعة في مصر ونسخة مخطوطة يرجع تاريخ نسخها إلى عام (١٦٠٧) على وجه التقريب .

ومن النسخ المطبوعة المشهورة للكاتب أيضاً نسخة الأب لويس شيخو والتي طبعت في بيروت عام (١٩٠٤) واعتمد الأب شيخو في طبع هذه النسخة على نسخة خطية عثر عليها في « حماة » إحدى مدن سوريا ، ومرجع تاريخ نسخها إلى عام (١٢٠٠ هـ) ونسخة مخطوطة أخرى يرجع تاريخها إلى عام (٧٣٩ هـ) . وجدد

(١) طبع قسم منه باعتناء هنري شولتس « في ليدن عام (١٧٨٦) انظر معجم

المطبوعات صفحة ٢٥٠ طبعة مركيس مصر (١٩٢٨) .

(٢) انظر معجم المطبوعات أيضاً صفحة (٢٥١) .

طبعه في بيروت عام (١٩٠٨ ثم ١٩٢٢ - ثم ١٩٢٣ - ثم ١٩٦٠) وطبع الكتاب في دمشق كذلك بتحقيق أحمد حسن طيارة ، ويقول في مقدمة الكتاب : « ظفرت على نسخة من الكتاب مشتملة على ست وثمانين صورة ذات ألوان بدیعة ونقوش جميلة في مكتبة الشيخ جمال الدين أفندي القاسمي الدمشقي ، وقد كتب في آخرها : إن نسخها قد تم في العاشر من جمادى الأولى سنة ست وثمانين بعد الألف على يد أبي المنا بن نسيم النقاش ، فعنيت أولاً بمقابلتها على ما توفر لدي من نسخ الكتاب كنسخة باريس المطبوعة (١٨١٦) ونسخة مصر المطبوعة عام (١٢٩٧ هـ) ونسخ بيروت الشهيرة^(١) - ومن الغريب أن تاريخ الطبع لم يذكر لا في صدره ولا في ختامه ، كما لم يذكر الناشر تاريخ كتابة مقدمته للكتاب أيضاً وعلى ظهر الكتاب وردت العبارة التالية « كلیلة ودمنة لـ «بيدبا» الفيلسوف الهندي عربها من الفهلوية المنشيء البليخ واللغوي الشهير عبد الله بن المقفّع ، طبعة جديدة مزدانة بست وثمانين صورة مأخوذة عن نسخة خطية قديمة صححها وعلق حواشيها بكمال الدقة والاعتناء » أحمد حسن طيارة » بروحمة مجلس معارف ولاية سورية الجلیلة ، كما جاءت في آخر الكتاب العبارة التالية : « ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، تم الكتاب والحمد لله أولاً وآخراً » -

- وأغلب الظن أن تأريخ ترجمة الكتاب وقع بعد عام (١٩٠٧) -

(١) انظر المصدر السابق صفحة ٢٥١ -

وذلك لأن أحمد حسن طبارة يشير في مقدمة الكتاب إلى نسخ بيروت الشهيرة ومن بين هذه النسخ نسخة خليل اليازجي التي طبعت عام (١٩٠٧) (١). وقد ذكر بروكلمان أن «حلمي طبارة» نشر كتاب «كليلة ودمنة» عام (١٨٩٦) ولم نعرف سبب تحريف اسم الناشر «أحمد حسن طبارة» إلى «حلمي طبارة» ولعله صادر عن الخطأ في الطبع أو الترجمة (٢).

ومن النسخ الشهيرة الأخرى للكتاب نسخة محمد حسن نائل المرصفي التي طبعت في مصر عام (١٩١٢) ثم جدد طبعها ثلاث مرات فكانت الطبعة الثالثة عام (١٩٢٧) والطبعة الرابعة عام (١٩٣٤) ولم يشر نائل المرصفي في مقدمته إلى النسخ التي اعتمد عليها في نشر الكتاب وهو يشتمل على مائة منظر مصور في طبع أنيق ويضاف إلى ذلك أن نائل المرصفي قد قدم للكتاب دراسة وافية عن حياة عبد الله بن المقفع وعن كتاب كليلة ودمنة .

- ولا يفوتنا في هذا المقام أن نشير إلى نسخة المحقق الكبير الدكتور عبد الوهّاب عزام المعروفة بطبعة دار المعارف ، فإنها تعد من أجمل نسخ الكتاب المطبوعة في العالم ، وقد اعتمد الدكتور في طبع هذا الكتاب على نسخة قديمة يرجع تاريخ كتابتها إلى عام (٦١٨ هـ) أي أقدم من نسخة الأب لويس شيخو بأكثر من مائة

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني ٢٣٧ دار القومية د . ت .

(٢) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٩٥/٣ ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار .

عام وقد طبعت دار المعارف هذه النسخة أثناء الحرب العالمية الثانية عام (١٩٤١) وفيها صور ملونة في غاية الجمال والروعة على طراز الفن الفارسي ، وأجمل من ذلك تلك المقدمة العلمية التي قدم بها الدكتور للكتاب وهي تعتبر من أهم الدراسات التي قام بها الباحثون والمستشرقون لكتاب كليلة ودمنة^(١) .

أبواب الكتاب :

قد أجمع النقاد على أن البابين الأخيرين^(٢) قد زيداً على النسخة الفهلوية بعد نقلها إلى العربية ، ومهما كان فإن معظم أبواب كليلة ودمنة من أصل هندي وقد تناولتها أيدي الفرس فجمعوا شتاتها وأضافوا إليها أبواباً أخرى ، وأطلقوا عليها اسمي الثعلبين «كليلة ودمنة» اللذين ورد ذكرهما في الباب الأول من الكتاب كما فعلوا ذلك بالنسبة لتسمية كتاب «خداينامه» وقد سبق ذكره ثم ترجم ابن المقفع الكتاب إلى العربية وتصرف في ألفاظه ومعانيه وترتيب أبوابه ومضامينه بحيث جعله ملائماً للذوق العربي ومضامين أبواب الكتاب هي :

١ - باب مقدمة بهنوذ بن سحوان .

٢ - باب عرض الكتاب .

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني صفحة

٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - طبعة دار القومية .

(٢) انظر مقدمة بهنوذ بن سحوان ، وباب عرض الكتاب .

- ٣ - باب بعثة الملك كسرى أنوشروان برزويه إلى الهند .
 - ٤ - باب برزويه ليزجهمهر بن البختگان .
 - ٥ - باب الأسد والثور .
 - ٦ - باب الفحص عند أمر دمنة .
 - ٧ - باب الحمامة المطوقة .
 - ٨ - باب اليوم والغريان .
 - ٩ - باب القرد والغيلم^(١) .
 - ١٠ - باب الناسك وابن عرس .
 - ١١ - باب الرجز والسنور .
 - ١٢ - باب الملك والطائر فترة .
 - ١٣ - باب الأسد وابن آوى الناسك .
 - ١٤ - باب اللبؤة والأساور والشعير^(٢) .
 - ١٥ - باب إيلاذ وإيرخت .
 - ١٦ - باب الناسك والضيف .
 - ١٧ - باب السائح والصائغ .
 - ١٨ - باب الملك وأصحابه .
 - ١٩ - باب الحمامة والشعلب ومالك الحزين .
- وهو آخر الكتاب وتلك خلاصة تضمنته أبواب كتاب كلیلة ودمنة
من المضامين والجدير بالذكر أن أبواب الكتاب بصورة عامة مهما

(١) ذكر السلحفاة .

(٢) هو اسم لابن آوى .

تنوعت أهدافها واختلفت أغراضها ، فهي تمثل سياسة الملك وتدبيره ، ثم هي حافلة بالأمثال والحكم في تعليم الملوك وتأديبهم . ومن ثم ذهب بعض الباحثين إلى أن باب الأسد وابن آوى الناسك يعدّ تنظيمًا كاملاً لشؤون الملك وكيفية حكم الرعية وسياسة شؤون الناس وتوجيههم توجيهاً صحيحاً^(١) .

أبواب النسخة السريانية القديمة :

- ونعني بالنسخة السريانية القديمة النسخة التي ترجمها الراهب الإيراني « بود » في عام (٥٧٠ م) أي قبل وفاة الملك أنوشروان بتسع سنين وكانت محجوبة عن نظر الباحثين ، حتى عثر عليها المستشرق الألماني ، « هرتل » في دير ماردين بآسيا الصغرى ، وطبعها لأول مرة المستشرق الألماني « بيكل » في عام (١٨٧٦ م) - (١٢٩٣ هـ) في مدينة « ليبزك » وتحتوي هذه النسخة على عشرة أبواب وهي :

- ١ - باب الأسد والثور .
- ٢ - باب الحمامة المطوقة .
- ٣ - باب القرد والسلحفاة .
- ٤ - باب النساك وابن عرس .
- ٥ - باب السنور والجرذ .

(١) انظر كتاب ابن المقفع لحنا الفاخوري صفحة ٤٢ طبعة القاهرة .

- ٦ - باب البوم والغربان .
- ٧ - باب الملك والطير .
- ٨ - باب الأسد وابن آوى .
- ٩ - باب البلار « إيلاذ » .
- ١٠ - باب ملك الجرزان ووزرائه^(١) .

والباب الأخير لا يوجد في النسخة الفارسية لأبي المعالي كما أنه لا يوجد في أكثر النسخ العربية للكتاب ، ولما كان هذا الباب موجوداً في النسخة السريانية القديمة ، وبعض النسخ العربية المخطوطة في مكتبات أوروبية فقد نشره المستشرق الألماني «نولدكه» مستقلاً في عام (١٨٧٩ م) مع ترجمته الألمانية وحققه وعلق عليه وراجع على مختلف النسخ العربية المخطوطة للكتاب وذهب إلى أن هذا الباب قد ألفه الفرس في عهد الملوك الساسانيين وأضيف إلى سائر الأبواب الهندية للكتاب ، بعد نقلها إلى الفهلوية ، ويبدو أن ترتيب أبواب النسخة السريانية القديمة للكتاب يختلف عن ترتيب أبواب النسخة العربية لابن المقفع كما أن النسخة السريانية القديمة تخلو من ستة أبواب توجد في النسخ العربية على اختلاف طبعاتها ، ومنها « السائح والصائح » الذي عثر عليها ضمن الباب الأول من إحدى نسخ « كتاب بنجاتنرا »^(٢) وإن خلو النسخة السريانية القديمة من هذه القصة يعد دليلاً آخر على

(١) انظر كتاب ابن المقفع لعباس إقبال صفحة ٤٣ طبعة برلين .

(٢) انظر الصفحة ٢١٧ من هذا الكتاب - أي بنجاتنرا .

بطلان ما زعمه (دينسن رس) « من أن ابن المقفع ترجم الكتاب إلى العربية عن النسخة السريانية القديمة » فمن أين أتى إذن بهذا الباب ؟ . فلا شك أنه كانت لديه نسخة أخرى من الكتاب غير السريانية وما هي إلا النسخة البهلوية التي نقلها الفرس عن السنسكريتية لو سلمنا جدلاً أن « بود » نقل الترجمة السريانية عن السنسكريتية مباشرة^(١) .

ترجمات الكتاب المختلفة:

يقول ابن النديم في كتابه «الفهرست» : « لكتاب كليله ودمنة جوامع وانتزاعات عملها جماعة ، منهم عبد الله بن المقفع وسهل بن هارون ، وسلم صاحب بيت الحكمة ، والمربد الأسود الذي استدعاه المتوكل في أيامه من فارس^(٢) .

ويدل كلام ابن النديم على أن الكتاب بعد ترجمة ابن المقفع لخص وهذب مرة أخرى ، كما لا نعلم أن تلخيص ابن المقفع كان من ترجمته العربية أو من النسخة البهلوية وكذلك الحال بالنسبة لترجمة « سهل بن هارون » وأبي نوح سلم الحراني » والمربد

(١) انظر كتاب عبد الله بن المقفع لمحمد غفراني الخراساني (٢٣٩) دار القومية للطباعة والنشر.

(٢) انظر كتاب الفهرست لابن النديم صفحة (٣٠٤) . وما بعدها .

الأسود» وإني أرجح أن يكون هؤلاء الثلاثة قد هذبوا الكتاب من الترجمة العربية لابن المقفع^(١).

قام إبراهيم عزوز المفتش بوزارة التربية والتعليم المصرية في القاهرة بتلخيص بعض أبواب «كليلة ودمنة» في أسلوب سهل ممتع يجذب الناشئين من طلبة المدارس الإعدادية المصرية لقراءته، يقول المؤلف في مقدمة الكتاب :

«قد ساءني أن رأيت النشء يعرضون عن هذا التراث . . .»
ثم يبدأ المؤلف بعرض مقدمة علي ابن الشاه الفارسي في أسلوب قصصي عرضاً موجزاً يبين فيه سبب تأليف كتاب كليلة ودمنة ثم يختار لكتابه بابين من أبواب الكتاب وهما :

— باب الأسد والثور — وباب الفحص عن أمر دمنة —

ويقول حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون : «نقل الكتاب من الفارسية إلى العربية عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي ، وذلك في سنة (١٦٥ هـ)^(٢) وقام كثير من الشعراء بنظم كليلة ودمنة وعلى رأسهم أيان عبد الحميد اللاحقي حيث أشار عليه يحيى بن خالد البرمكي بنظم الكتاب . فنظمه أيان وأهداه إلى يحيى ونظم أيان منظومته من المزدوج ،

(١) انظر عبد الله ابن المقفع لمحمد غفراني الخراساني (٢٤٩) طبعة دار القومية

(٢) كشف الظنون ٢ / ١٥٠٨ .

وكان كما يصفه ابن النديم قد اختص من بين أترابه بنقل الشعر إلى الشعر المزدوج^(١).

وهو الذي يدعى كلية ودمته	هذا كتاب أدب ومحنه
وهو كتاب وضعته الهند	فيه دلالات وفيه رشد
حكاية عن ألسن البهائم	فوصلوا الآداب كل عالم
والسخفاء يشتهون هزله	فالحكماء يعرفون فضله
كذا على اللسان عند اللفظ	وهو على ذاك يسير الحفظ

إلى أن يقول :

أقرّ أو أنكر ذاك جاحد	أشهد أن الله فرد واحد
لم يلد الله ولا له ولد	ليس له كفؤا ولا ند أحد
ما كان منه من قبيح وحسن	وانني بما عملت مرتهن

إلى أن ينتهي عرض الكتاب ثم تتلوه أبيات تتعلق بباب برزويه الطيب ومنها قوله :

يرضى من الأرفع بالأخص	وإن من كان دنيء النفس
يفرح بالمعظم العتيق اليأس	كمثل الكلب الشقي البائس

جاء هذا المثل في ذم الدنيا حيث يقول ابن المقفع على لسان برزويه : ذ الدنيا كالماء المالح الذي لا يزداد شاربهُ شرباً إلا ازداد

(١) انظر كتاب القهرست لابن النديم صفحة (١١٩) .

عطشاً ، وكالعظم الذي يصيبه الكلب فيجد فيه ريح اللحم ، فلا يزال يطلب ذلك اللحم حتى يدمي فاه»^(١) .

ومن الشعراء الذين نظموا كتاب كلیلة ودمنة كذلك سهل بن تویخت الحکیم - ويقول حاجي خليفة : « إن سهل بن بویخت أهدى منظومته ليحيى بن خالد البرمكي وزير المهدي وهارون الرشيد ، ونال جائزة مقدارها ألف دينار»^(٢) ونظم الكتاب أيضاً علي بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد ويشر بن المعتمر - وقد أشار إليه ابن النديم في كتابه « الفهرست »^(٣) ثم نظمه أبو المكارم أسعد بن مماتي المصري في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي^(٤) .

ونظم الكتاب أيضاً الشاعر ابن الهبارية^(٥) من بحر الرجز المزدوج القافية وسمى منظومته «نتائج القطنة في نظم كلیلة

(١) انظر كلیلة ودمنة صفحة ٩٩ وما بعدها تحقيق خليل اليازجي .

(٢) انظر كتاب سيك شناس للملك الشعراء بهار ٢ / ٢٥١ طبعة طهران .

(٣) انظر كتاب الفهرست لابن النديم صفحة (٣٠٥) طبعة ليبزيك .

(٤) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٨٤ طبعة القاهرة .

(٥) هو الشريف نظام الدين أبو يعلى عماد بن محمد بن صالح بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس المعروف بابن الهبارية الهاشمي والملقب بنظام الدين ، وقد توفي بكرمان عام (٥٠٤ هـ) وقد أثبت نسبته بنفسه في صدر الكتاب وطبع الكتاب في مصر عام (١٢٩٢ هـ) وفي بيروت عام (١٩٠٠) . وفيات الأعيان ٢ / ١٩ .

ودعنة^(١) وله كتاب آخر باسم «الصلاح والياغم» في معارضة
 كليلة ودمنة وأهدى منظومته إلى أبي الفضل أسعد بن موسى القمي
 الملقب بمجد الملك وكان يتولى رئاسة ديوان الاستيفاء في عهد
 ملكشاه السلجوقي . وقد كتب ابن الهبارية منظومته على خمسة
 عشر باباً ومقدمة وخاتمتين ومدح مجد الملك في مقدمته يقول :

فارج كل كربة وضنك	يصاحب الأصحاب مجد الملك
مشيد الدولة شمس الدين	مؤمل كل يائس ومسكين
الطاهر الأعراق والأخلاق	وقاسم الأجال والأرزاق
وليس للملك من الآلات	غير ابن موسى سيد الكفاة
قد غنى الملك برأي مجده	عن ماله وجنده وجده
لأجله نظمت ما قد نشروا	فلئنني بمدحه مشتهر

وكما يبدو من مقدمة ابن الهبارية أنه بدأ تنظم الكتاب وهو في
 طريقه إلى كرمان إذ يقول :

وكنت قد فازقت أصبهانا	مستبدلاً من ربها كرمانا
وصرت عند سيد الملوك	إيران شاه مؤئل الصعلوك

ومنها :

وهو بمدحي ويشكري أولى لا بد لي من أن أقول قللاً

(١) انظر معجم المطبوعات العربية لسركيس صفحة (٢٧١) طبعة مصر .

(٢) انظر كتاب نتائج الفطنة لابن الهبارية صفحة (٦٠ وما بعدها ١٠) تحقيق الخوري

تعمة الله الأسمر المازوني في بيروت ..

وقلت إن النعمة الجزيلة جزاؤها بخدمة جليته
لأنظم النشرفي كليته وإن غدت خواطري كليته^(١)
وقد نظم الخوري نعمة الله باب « الحمامة والثعلب ومالك
الحزين » وألحقه بكتاب ابن الهياري ويقول في ذلك : « ليس هذا
الباب منظوماً في الأصل ، والذي أراه أن الناسخ أغفله لا الناظم
فالذي نظم الكتاب كله في عشر ليال^(٢) لا يعجز عن هذا الباب
الوجيز ، وقد نظمته كيلاً يبقى غريباً » وقد نسب بعض الباحثين إلى
ابن الهياري كتاباً آخر في نظم كليلة ودمنة بعنوان « درر الحكم في
أمثال الهند والعجم » كما نسب البعض الآخر هذا الكتاب لعبد
المؤمن بن الحسن الصاغانى ، أحد علماء القرن السابع الهجري
ويقول المستشرق الفرنسي «سليفستر دوساسي» في مقدمته
الكتاب : كليلة ودمنة : نظم شاعر يدعى عبد المؤمن بن الحسن
ابن الحسين الصاغانى كتاب كليلة ودمنة وسماه « درر الحكم في
أمثال الهند والعجم » وقد استغرق نظمه للكتاب ثمانين يوماً ،
وكان الفراغ منه يوم العشرين من شهر جمادى الأولى عام

(١) المصدر السابق مقالة الناظم صفحة ٧ وما بعدها .

(٢) وقوله :

تم الكتاب وانقضت أبوابه كالدر إذ يزجي به سحابه
ومنها :

حررت في عشر ليال عقده ولم أطق حتى استعنت جده

(٦٤٠ هـ) وتوجد نسخة مخطوطة من هذه المنظومة بمكتبة فينا
رقم (٤٨٠) . قد سقطت من أولها عدة أوراق .

وينسب بروكلمان هذا الكتاب أيضاً إلى عبد المؤمن
الصاغاني^(١) وهناك رأي آخر يذهب إلى أن المنظومة لابن الهبارية
وانما أكملها بعده عبد المؤمن الصاغاني^(٢) .

وكان آخر من نظم الكتاب باللغة العربية الشاعر « الشيخ محمد
عبد الرحيم تره » المتوفى عام (١٩٣١) وسمى كتابه : زعموا
أن . . . أو كليلة ودمنة منظوم « وحيث إن حكايات كتاب كليلة
ودمنة تبدأ بجملة (زعموا أن) سمي منظومته « زعموا أن » وقد قدم
لها كل من أمير الشعراء أحمد شوقي والدكتور محمد حسين هيكل
وشاعر القطرين خليل مطران ثم الأستاذ عباس محمود العقاد ، وقد
قسم الشاعر منظومته إلى قسمين الأول نظم فيه الشاعر
مضامين أبواب الكتاب أو بمعنى أخص الحكايات الرئيسية في
الكتاب ، والقسم الثاني نظم فيه مختارات من الحكايات الفرعية
التي تحتوي عليها أبواب الكتابة .

ترجمات اللغات الحية :

١ - الترجمة التبتية .

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣ / ٩٦ ترجمة عبد الحليم النجار طبعة
القاهرة .

(٢) انظر كتاب ضحى الإسلام لأحمد أمين ١ / ٢٣١ .

- ٢ - الترجمة الفهلوية ١٥٦٠ م .
- ٣ - الترجمة السريانية الأولى .
- ٤ - الترجمة العربية لابن المقفع ٧٥٠ م .
- ٥ - الترجمة اليونانية لسيمون ست ١٠٨٠ م .
- ٦ - الترجمة السلافونية القديمة .
- ٧ - الترجمة الإيطالية ١٥٨٣ م .
- ٨ - الترجمة السريانية الحديثة ق . (١٠ - ١١) .
- ٩ - الترجمة والإنجليزية لفالكونر ١٨٨٥ م
- ١٠ - الترجمة اللاتينية الشعرية ق . (١٣) .
- ١١ - الترجمة العبرانية لابن اليعازر ق (١٣) .
- ١٢ - الترجمة العبرانية الثانية .
- ١٣ - الترجمة اللاتينية (ديكتريوم) .
- ١٤ - الترجمة الإيطالية لدولي ١٥٥٢ م .
- ١٥ - الترجمة الإنجليزية لنورث ١٥٧٠ م .
- ١٦ - الترجمة الإسبانية الحديثة ١٤٩٣ م .
- ١٧ - الترجمة الإيطالية ١٥٤٨ م .
- ١٨ - الترجمة الفرنسية ١٥٥٦ م .
- ١٩ - الترجمة الألمانية ١٥٨٣ م .
- ٢٠ - الترجمة الدانماركية ١٦١٨ م .
- ٢١ - الترجمة الهولندية ١٦٢٢ م .
- ٢٢ - الترجمة اللاتينية لريمونا ١٣١٣ م .
- ٢٣ - الترجمة الإسبانية القديمة ١١٢٥ م .

- ٢٤ - الترجمة التركية «همايون نامه» أول القرن (١٦) .
- ٢٥ - الترجمة الفرنسية التي بدأها جالاند وأتمها كاردون ١٧٧٨ م .
- ٢٦ - الترجمة الفارسية «أنوار سهيلي» آخر القرن (١٥) .
- ٢٧ - الترجمة الفارسية «لنصر الله» ١١٢٠ م .
- ٢٨ - الترجمة الملقية .
- ٢٩ - الترجمة الإنجليزية ١٨١٩ م .
- ٣٠ - الترجمة الروسية ١٨٨٩ م .

آراء في ابن المقفع :

ذكرت طائفة من الكتاب والشعراء ابن المقفع بالمدح والإعجاب والثناء نورد من آرائهم بعضها هنا .

١ - يقول جعفر بن محمد بن حذار الكاتب أحد وزراء الدولة الطولونية المتوفى عام (٢٦٧ هـ) في مدح أحد أصدقائه :

يا كسرويا في القدي م وهاشمياً في الولاء
يا ابن المقفع في البيسا ن ويا إياساً في الذكاء^(١)

٢ - ويقول يحيى بن خالد البرمكي الوزير الذي كان له حظ وافر في البلاغة وباع طويل في فن الكتابة : « إن أربعة لم يدرك مثلهم

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢ / ٣٨٧ طبعة دار الكتب العلمية ١٩٩١ .

في فتونهم » وهم : الخليل بن أحمد - عبد الله بن المقفّع - أبو حنيفة - الفزاري محمد بن إبراهيم الكوفي^(١) .

٣ - ويقول أبو تمام في قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب :
ولقد شهدتك والكلام لآلئ
فكأن قساً في عكاظ يخطب صرف فبكر في النظام وثيب
وكأن ليلى الأخيلى تندب وكان ليلى الأخيلية تندب
وكثير عزّة يوم بين ينسب وابن المقفّع في التيمية يسهب^(٢)

٤ - وروى ابن الفقيه في بلاغة ابن المقفّع نقلاً عن لسان أحمد بن يوسف قال : ألفاظه معان ، ومعانيه حكم ، فصل خطابه شفاء ، وخصل بيانه كفاء ، وروى أيضاً نقلاً عن لسان جعفر بن يحيى البرمكي : عبد الحميد أصل ، وسهل بن هارون فرع وابن المقفّع ثمر ، وأحمد بن يوسف زهر وكلهم كانوا من الكتاب البارزين في فهم المشهورين برشاقة قلمهم^(٣) .

٥ - ونقل عن أبي الفياء الشاعر أنه سمع بعض كلام ابن المقفّع

(١) المصدر السابق ٥ / ٧٩ .

(٢) انظر ثمار القلوب للشعالبي صفحة ١٨٥ وديوان أبي تمام صفحة ٤٩ وما بعدها .

(٣) انظر البلدان لأبي بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه صفحة ١٩٤ طبعة لندن عام (١٣٠٢ هـ) .

فقال : «كلامه مديح ولسانه فصيح . وطبعه صحيح ، كأن بيانه لؤلؤ مشور ، وروض مطور»^(١) .

٦ - وروى جلال الدين السيوطي نقلاً عن أبي الطيب عبد الواحد اللغوي : « قال محمد بن سلام : سمعت مشايخنا يقولون : لم يكن للعرب بعد الصحابة أذكى من الخليل بن أحمد ولا أجمع ولا كان في العجم أذكى من ابن المقفع ولا أجمع»^(٢) .

(١) انظر مراتب النحويين لأبي الطيب عبد الواحد اللغوي صفحة ٢٨ طبعة القاهرة والمزهر للسيوطي ٢ / ٢٤٩ طبعة القاهرة تحقيق الأستاذ محمد أبي الفضل إبراهيم .

(٢) المصدر السابق صفحة ٢٨ والمزهر ٢ / ١٠٥ وما بعدها .

الخاتمة

هكذا أصبح الفن الذي ابتدأه ابن المقفع دقيقاً ومتأنقاً كما كان له الأثر الكبير في تطوير الحياة الاجتماعية والأدبية والسياسية في البيئة العربية ، ويمكن القول إن عصر ابن المقفع الأدبي كان مستولياً على الفن بكامله وقد أزهى الفترات وأخصب العصور في تاريخ الأدب العربي .

ـ ولقد اعتبر ابن المقفع رائداً من رواد فن الكتابة في العصر العباسي الأول وزعيماً للطبقة الأولى من الكتاب ، وقد ذكر ابن النديم في كتابه الفهرست أسماء طائفة كبيرة من المترجمين ، وعدداً ضخماً من أسماء الكتب التي ترجمت في العصر العباسي ، وكان لابن المقفع دور كبير في هذا المجال حيث ترجم بعض عيون الأدب الفارسي إلى العربية .

وهنا يقول عبد اللطيف حمزة : « ولست أدري ماذا كان يكون مصير الأدب الفارسي لو قد عاش له ـ ابن المقفع ـ الذي لم يكن قد تجاوز الأربعين » ويقول : « أجل عبدالله بن المقفع هو البطل الذي يعتبر بحق مفخرة للشرق » فلا عجب بعد هذا كله بأن يترك ابن المقفع أثر كبير في العالم العربي .

وإذا كانت الأفكار التي نشرها تسربت إلى فكر الشعراء وفلسفة

الفلاسفة ، وتآليف الكتاب في مختلف حقول الفكر والأدب فهو
البطل الذي نعتبره بحق من أولئك النفر القليلين الذين يطلق عليهم
اسم قادة الفكر .

لقد ترك ابن المقفع آثار تزخر بها المكتبة العربية والتي تعتبر
حجر الأساس في صرح الأدب العربي ، فلا يزال مجال البحث
والتحقيق عن ابن المقفع وآثاره مفتوحاً لأي باحث عن هذا
الكاتب ، يمكن الإسهاب في ثنايا دراسة أخرى في أدب ابن
المقفع .

والله الموفق

فهرس المصادر والمراجع

- ابن المقفع ط . دمشق ٩٣٠ هـ
- ابن المقفع القاهرة
- ابن المقفع دار الحديث للنشر د . ت .
- الآثار الباقية ط . دار الكتب العلمية
- البروني القاهرة
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء جمال الدين القفطي القاهرة ١٣٢٦ هـ
- الأخبار الطوال أبي حنيفة الدينوري لندن ١٨٨٨ هـ
- أدباء العرب في العصر بطرس البستاني دار الثقافة بيروت ١٩٦٨ هـ
- العباسية
- الأدب القصصي عند العرب موسى سليمان
- الأدب الكبير والصغير تحقيق يوسف أبو حلقة بيروت د . ت .
- رسالة الصحابة
- أمراء البيان محمد كرد علي القاهرة / ط . ثانية
- إيران في عهد الساسانيين كرستن مسن دار الكتب العلمية ١٩٨٧ هـ
- ترجمة د . يحيى الخشاب
- ابن كثير
- البداية والنهاية أبي بكر أحمد الحمداني لندن / ١٣٠٢ هـ
- البلدان ابن الفقيه
- تاريخ الأدب العربي بروكلمان / ترجمة عبد الحليم النجار

برلين / ليبزيك / القاهرة	حمزة الأصفهاني	- تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء - تاريخ طبرستان - التحرير والتجبر
شركة الإعلانات الشرقية / د. ت.	نشره الدكتور حفي محمد شرف	- التنبيه والإشراف - ثمار القلوب - حضارة العرب
القاهرة ١٩٣٨	للمسعودي الثعالبي	- خلاصة تاريخ العرب - ديوان أبي تمام - ديوان أبي نواس
ترجمة عادل زعيتر ١٩٦٤ دار الآثار بيروت / ١٤١٠ هـ	د. غوستاف لوبون سيديو	- ديوان المعاني - رسائل البلغاء
القاهرة ١٩٤٢	تحقيق عبد الحميد يونس	- شرح العميون في شرح رسالة - صبح الأعشى
القاهرة ١٨٩٨	تحقيق محمود واصف أبي هلال العسكري	- الصناعتين - ضحى الإسلام - عبد الله بن المقفع - عبد الله بن المقفع
القاهرة ١٩١٣	محمد كرد علي	- العربية
القاهرة دار الكتب العلمية	ابن زيدون الفلقشندي	- العقد الفريد - عيون الأخبار - غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم
بيروت ١٩٨٧	أبي هلال العسكري	
القاهرة ١٩٣٦	أحمد أمين	
القاهرة د. ت.	محمد سليم الجندى	
دار القومية للطباعة والنشر ربيع الأول ١٣٣٩	محمد غفراني الخراساني	
	يوهان فك . ترجمة	
	الدكتور عبد الحليم النجار	
القاهرة	ابن عيد ربه	
دار الكتب العلمية د. ت.	ابن قتيبة	
ط. باريس وليزيك	للثعالبي	

دار الكتب العلمية	لابن النديم للغبرور آبادي حاجي خليفة ابن المقفع تعلق الياس خليل زكريا تحقيق نائل المرصفي تحقيق خليل اليازجي	الفهرست - القاموس المحيط - كشف الظنون - كلیلة ودمنة - كلیلة ودمنة - كلیلة ودمنة - مجلة الدارسات الأدبية - المجلة الملكية - محاضرات الأدباء - مراتب النحويين - مروج الذهب - المزهر
ط . بيروت ١٩٥٩	العدد الأول العام الثالث أكاديمية العلوم - العدد الثامن للراغب الأصفهاني أبي الطيب عبد الواحد اللغوي المسعودي - تحقيق بارينيه دي منار السيوطي - تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم	مضاهاة أمثال كلیلة ودمنة - معجم الأدباء - معجم البلدان - معجم المطبوعات العربية - مفتاح السعادة - المفيد في الأدب العربي - المنجد في اللغة والإعلام - من حديث الشعر والنثر - نتائج الفطنة في نظم كلیلة ودمنة
بيروت ١٩٦١	تحقيق د. محمد يوسف نجم	
دار الكتب العلمية ١٩٩١	ياقوت الحموي	
دار صادر - بيروت - د . ت	ياقوت الحموي	
مصر ١٩٢٦	يوسف الياس سر كيس	
	طاش كبري زاده	
المطبعة الإفريقية بيروت / ١٩٨٠	الطبعة (٦)	
دار المشرق بيروت	طه حسين	
القاهرة		
ط بيروت ١٩٠٠	ابن الهبارية - بتحقيق	
	الحفوري نعمة الله الأسمر الماروني	
القاهرة	زكي مبارك	
القاهرة	ابن خلكان	
		- النثر الفني - وفيات الأعيان

المراجع الأجنبية

- | | | |
|----------------------------------|---------------------------|------------------|
| ط . برلين | عباس إقبال «بالفارسية» | - ابن المقفع |
| جامعة طهران / د. ت. | ترجمة الدكتور ايندوشيكيهر | - بنجاتنثرا |
| طهران | فلك الشعراء بهار | - سبك شناسي |
| السنة الخامسة - | الفارسية | - مجلة كاوة |
| عدد ١١ ط . برلين | | |
| وزارة التربية والتعليم الإيرانية | عبد العظيم قريب | منتخب كلية ودمنة |
| | | ، برامشاهي |
- Pars version is Arabica Libri Calaila Wa Dimna edita a b H.A. schul-
tens
- Noidek's Introduction to tabary as translated by Nariman
Bombay - 1918 .
- The Cana bidge medieaval History V. II p. 103
- | | | |
|-----------|-------------------|-----------------------|
| ط . طهران | د . ذبيح الله صفا | - حماسة سرائي درايران |
|-----------|-------------------|-----------------------|

فهرس المحتويات

الإهداء	٣
المقدمة	٥

الفصل الأول

الحياة السياسية	٩
الحياة الاجتماعية	١٣
الحياة الاقتصادية	١٦
الحياة الأدبية	١٨
اللغة العربية	٢٢
التجديد في الأدب العربي	٢٤

الفصل الثاني

نسبه	٢٨
مولده ونشأته	٢٨
موطنه	٣٢
وفاته وآثاره	٣٣

الفصل الثالث

مثل القبرة والفيل (كليله ودمنة)	٣٦
الأدب الصغير	٤٩
الأدب الكبير	٥٢
الخدائنامه	٦٩
التاج	٧٨

آئين نامه ٨٠

البنكش والسكيسران ٨٣

الفصل الرابع

الشر الفني في الأدب العربي ٨٦

خصائص أسلوب ابن المقفع ٩١

الفصل الخامس

كثيلة ودمنة وموقعه في التراث العالمي ١٠٠

طبقات الكتاب المشهورة ١٠١

أبواب الكتاب ١٠٥

أبواب النسخة السريانية القديمة ١٠٧

ترجمات الكتاب المختلفة ١٠٩

ترجمات اللغات الحية ١١٥

آراء في ابن المقفع ١١٧

الخاتمة ١٢٠

فهرس المصادر والمراجع ١٢٢

لا شك أنّ القارئ العربي بحاجة ماسّة إلى
الأطلاع على تراثه الفكريّ العظيم المتمثّل بالأدب
والتاريخ والفلسفة والفقه وعلم الكلام وغير ذلك من
ميادين الثقافة والمعرفة.

وبما أن تحصيل هذه المعرفة الموسوعية المتكاملة
لا يكاد يتأتّى إلاّ لأفراد قلائل من ذوي العقول المتميّزة
والبصائر المتوقّدة، كان لا بدّ لنا من تقديم هذا التراث
بشكلٍ مختصرٍ وجامعٍ في الوقت نفسه، بحيث يوافق
هذا الإطار المقترَحُ أكثريةَ القراء العرب، وخاصة طلاب
المراحل الثانوية والجامعية. فكانت هذه السلسلة عن
أعلام الأدب من نثر وشعر، تولّى كتابتها مجموعة من
الاختصاصيين الذين تحرّروا فيها السلسلة في الأسلوب
والعمق في التحليل والاختصار في المعلومات، بما يحقق
الهدف المنشود من إصدارها.

كما نشير إلى أننا -بالإضافة إلى هذه السلسلة التي
بين يديك عن أعلام الأدباء والشعراء - أصدرنا، وسنصدر
تباعاً إن شاء الله مجموعاتٍ أخرى عن أعلام الفكر العربي
والغربي في مختلف الميادين المعرفية، بنفس الأسلوب
والمنهج اللذين اتبعناهما في إصدار هذه السلسلة. والله
من وراء القصد.